

الأكاديمية الإسلامية لمقارنة الأديان

# براهين أصول الدين الإسلامي

تجميع المحاضرات ١ - ١٠

الدكتور  
هيثم طلعت

المستوى التمهيدي ٢٠٢٢

## الفهرس

٥	مقدمة
٥	حول مادة براهين أصول الدين الإسلامي
٥	أهداف المادة
٥	التأسيس وضبط المعرفة
٥	التأهل للرد على الشبهات وتفنيدها
٥	محتوى المادة
٦	كيفية الوصول إلى اليقين
٦	تدبر كتاب الله ﷻ
٨	جذور الإلحاد وتاريخ تطوره
٨	تعريف الإلحاد وأصناف الملاحدة
٨	تعريف الإلحاد
٨	أصناف الملاحدة
٩	الجذور الأولى للإلحاد
٩	الفرق بين الملحد والتنويري: بدايتان مختلفتان ونتيجة واحدة
١٠	تطور الإلحاد
١٤	مزاعم الإلحاد وشبهات الكون
١٤	الشبهة الأولى: الكون أتى صدفة
١٤	الشبهة الثانية: لا إشكال في فرضية أن الكون جزء من أكوان كثيرة
١٥	الشبهة الثالثة: لا إشكال في فرضية تعدد الأكوان
١٧	دلائل وجود الخالق ﷻ
١٧	دلائل القرآن الكريم
١٧	دليل الإيجاد
١٨	دليل الإتيان
٢٠	أمثلة لدلائل الإتيان
٢٢	دليل "رعاية للإنسان"
٢٤	شبهات وردود
٢٤	الشبهة الأولى: سبب غياب شيء مادي مسؤول عن إيجاد الكون بإيهار
٢٦	الشبهة الثانية: مبررات ظهور الطاقة مع ظهور الكون رغم قانون حفظ الطاقة
٢٨	الشبهة الثالثة: إثبات أزلية الطاقة بفرضية لحظة ظهور الكون
٢٩	الشبهة الرابعة: إذا كان الله قد خلق الكون، فلماذا الكون بهذه الضخامة؟
٢٩	شبهة أم مغالطة؟
٣١	تفسير حقيقة صغر حجم الإنسان مقارنة بمركز الكون العملاق
٣٢	الرد على الرد

- ٣٧.....الإلحاد وتضخيم الشبهات الزائف.....
- ٣٧.....صناعة التناقض بزخرفة الشبهة وتضخيمها وترقيع الإستشهادات عليها.....
- ٣٧.....مثال على التناقض من الكتاب المقدس.....
- ٣٨.....الحكمة من وجود المتشابه والشبهات في الدين.....
- ٣٩.....أصناف المُتَّبِعِينَ للمتشابه.....
- ٤٠.....أنواع المتشابه.....
- ٤١.....تعامل المؤمن مع المتشابه.....
- ٤١.....أمثلة لإحالة المتشابه إلى المحكم.....
- ٤١.....المثال الأول من القرآن الكريم.....
- ٤٢.....المثال الثاني من القرآن الكريم.....
- ٤٣.....الفرق بين نظرتي المؤمن والكافر تجاه المحكم والمتشابه.....
- ٤٤.....سبب غياب دليل يحسم الجدل بين الإيمان والإلحاد، ويقضي على كل الشبهات.....
- ٤٦.....مدى قدرة الشبهات على دفع المؤمن إلى الردّة عن الإسلام.....
- ٥١.....كيف يُضخم الهوى الشبهة؟.....
- ٥٤.....كيفية ظهور الدين.....
- ٥٤.....إشكالات الطرح الإلحادي.....
- ٥٤.....الطرح الإلحادي الأول.....
- ٥٤.....الطرح الإلحادي الثاني.....
- ٥٦.....من أين جاءت فكرة الإله الأكبر فاطر السماوات والأرض؟.....
- ٥٦.....إذَنْ هل التوحيد سابق على التعدُّد؟.....
- ٥٧.....هل أصل الديانات المعاصرة هو التوحيد؟.....
- ٥٧.....الهندوسية.....
- ٥٨.....المسيحية.....
- ٥٩.....الزرادشتية.....
- ٦٠.....ما سبب ترك عبادة الله مقابل اتخاذ الأصنام والأوثان قربات له ﷻ؟.....
- ٦١.....كم عدد الديانات التي ما زالت على التوحيد النقي اليوم على الأرض؟.....
- ٦٢.....مدى نجاعة العقل والعلل التجريبي والحس والفلسفة لإشباع المعرفة الإنسانية.....
- ٦٢.....أسطورة العميان الست.....
- ٦٣.....بين العقل والوحي.....
- ٦٣.....ماذا لو أجابت بدائل الدين عن الأسئلة الوجودية؟.....
- ٦٤.....العقل يقرر المبادئ الأخلاقية حتى بعيداً عن الدين.....
- ٦٦.....هل هذا تقليل من قيمة العلوم التجريبية؟.....
- ٦٧.....حال الإنسانية دون النبوات.....
- ٧٠.....أساليب دعاة التغريب في المجتمع المسلم.....
- ٧٠.....تعريف التغريب.....
- ٧٠.....أساليب دعاة التغريب في العالم الإسلامي.....
- ٧٠.....الإلحاد المادي.....

- ٧١ .....الإلحاد الروحي
- ٧١ .....تعريف الإلحاد الروحي
- ٧١ .....نشأة علوم العلاج بالطاقة
- ٧٢ .....ليس قانونا وإنما خرافة وعين الشرك
- ٧٥ .....الإنكسار للغرب ومخلفاته
- ٧٨ .....دلائل صدق النبوة
- ٧٨ .....الدليل الأول: صدق الرسول
- ٧٩ .....الدليل الثاني: الإتيان بما أتى به من سبقه من الأنبياء
- ٧٩ .....مما يوافق الفطرة من التوحيد الخالص
- ٧٩ .....مما يوافق المبادئ الأخلاقية
- ٨٠ .....الدليل الثالث: استحالة الإتيان بنص شرعي محالٍ عقليا
- ٨١ .....أمثلة على النص القرآني المتشابه والمحكم
- ٨٢ .....الدليل الرابع: معجزات النبي وبشارات من سبقه من الأنبياء به
- ٨٣ .....الدليل الخامس: تأييد الله للنبي
- ٨٥ .....أيهما أكرم للمرأة: الإسلام أم الإلحاد؟
- ٨٥ .....تعريف المرأة حسب الفكر الإلحادي
- ٨٦ .....مكانة المرأة في الإسلام
- ٨٦ .....تكريم المرأة في الإسلام
- ٨٧ .....مكائد الفكر الإلحادي
- ٨٨ .....المرأة بين جاهليتي الماضي والحاضر
- ٨٨ .....حال المرأة قبل الإسلام
- ٨٨ .....جذور الماضي تنتشعب في الحاضر
- ٨٩ .....حفظ الإسلام للمرأة
- ٨٩ .....حفظها من البهتان
- ٨٩ .....حفظها من التجارة بجسدها
- ٨٩ .....حفظها كزوجة
- ٩٠ .....حفظ ميراثها
- ٩٠ .....حفظها كيتيمة
- ٩٠ .....حفظ حقوقها وواجباتها
- ٩٠ .....جبر خاطرها
- ٩١ .....حفظها من الدونية عن الذكر
- ٩١ .....متناقضين فأيهما أحق أن يُتبع؟
- ٩٣ .....ما هي الوسواس القهرية في العقيدة؟
- ٩٤ .....ما هو الفرق بين الوسواس والشبهة؟
- ٩٤ .....الشبهة
- ٩٤ .....الوسواس
- ٩٤ .....أصناف الوسواس

- ٩٥ ..... لماذا يحدث الوسواس القهري؟
- ٩٦ ..... الوسواس من المنظور الشرعي.
- ٩٦ ..... مغفورها جميعا.
- ٩٧ ..... باب خير لمن صبر
- ٩٨ ..... ما هي أسرع طريقة لعلاج الوسواس القهري؟
- ٩٩ ..... الإنهاء عن الإسترسال مع الوسواس: Thought Stopping
- ١٠٠ ..... التعامل مع الوسواس الجديدة
- ١٠١ ..... عودة الوسواس بعد التعافي
- ١٠٤ ..... تجربة شخصية
- ١٠٤ ..... كيف يتعامل مريض الوسواس القهري مع وساوس العقيدة
- ١٠٥ ..... الوسواس القهري كالتمر
- ١٠٦ ..... الوسواس القهري كالسراب
- ١٠٦ ..... أسباب انتشار الوسواس في الآونة الأخيرة
- ١٠٦ ..... إتاحة البحث عبر شبكة الإنترنت بسهولة
- ١٠٦ ..... انتشار الشبهات
- ١٠٦ ..... الفراغ
- ١٠٦ ..... الجهل بالعلم الشرعي
- ١٠٧ ..... الوسواس: منحة وليس محنة
- ١٠٧ ..... خلاصة
- ١٠٩ ..... النسوية
- ١٠٩ ..... تعريف النسوية
- ١٠٩ ..... حقيقة النسوية
- ١٠٩ ..... إيديولوجيا مكتملة الأركان
- ١١٢ ..... تمييز ضد الأنثى
- ١١٤ ..... حالة دُهانبة تعيش بارانويا ارتيائية
- ١١٤ ..... أعراض البارانويا
- ١١٦ ..... فلسفة إقصائية
- ١١٧ ..... النسوية إلحاد وردة
- ١١٩ ..... مذهب مصلحي نفعي مادي
- ١١٩ ..... تحالف مع الشيطان
- ١٢٠ ..... تحالف النسوية مع الشذوذ الجنسي
- ١٢٠ ..... تحالف النسوية مع الإجهاض
- ١٢١ ..... النسوية تحارب الأمومة
- ١٢١ ..... إما النسوية وإما الإسلام، ولا يجتمع الظلام بالنور
- ١٢١ ..... النسوية
- ١٢٢ ..... الإسلام

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### مقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى صَحَابَتِهِ وَآلِ بَيْتِهِ، وَمَنْ أَحَبَّهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

### حول مادة براهين أصول الدين الإسلامي

#### أهداف المادة

#### التأسيس وضبط المعرفة

هذه المشاريع العلمية هدفها في الأساس التأسيس وضبط المعرفة، لأن الفروع في الغالب لا تنشئ منهجاً، فكونك تستمع لمحاضرة هنا أو هناك، فهذا لا يُنشئ منهجاً، فلا بد من التأسيس لمنهج، فالمنهج هو الذي يعصم، وهو الذي يُنشئ الفروع، فالمنهج تستطيع أن تعرف به آلية البحث والرد على الشبهات والفسطة الإلحادية وغير ذلك.

#### التأهل للرد على الشبهات وتفنيدها

وأيضاً نرجوا من الله ﷻ أن تكون أمثال هذه المشاريع باباً لشباب مؤهل للرد على الشبهات وتفنيدها، ففي كل مدينة وبلدة نحتاج إلى طالب علم يرُدُّ على الشبهات ويُفند خرافات الملاحدة وأصحاب الأباطيل، ويدعو إلى الله ﷻ على بصيرة، فهذه المشاريع مهمة، وأنا دائماً أحرص على أن تكون أمثال هذه المشاريع متاحة، نفع الله ﷻ المسلمين بهذا العمل، وجزاكم الله ﷻ عنا خيراً.

#### محتوى المادة

سنتناول إن شاء الله ﷻ في هذه المادة ملف الإلحاد وقضايا الملحدين، وشبهاتهم وكيف نرد عليها، وكيف نبني أصول الإستدلال وكيف نثبت قضايا من المفترض أنها بديهية ولكن فقط نزيل عنها السفسطة التي يفعلها الملاحدة.

## كيفية الوصول إلى اليقين

## تدبر كتاب الله ﷻ

لا بد أن يعلم الجميع أن الوصول لليقين بأقصر طرقه وبأسهلها وأحكمها يكون بتدبر كتاب الله ﷻ: فتدبر القرآن الكريم هو أقصر طريق لأن تحصل اليقين.

فأنا دائماً أقول لطلاب العلم وأقول لنفسي وأهل بيتي وأقول لأي شخص: إذا أردت أن تصل لليقين فعليك بتدبر كتاب الله ﷻ: تقرأ آيات من كتاب الله ﷻ، ثم تقرأ تفسيراً يسيراً عليها، ثم تعود مرة أخرى إلى قراءة هذه الآية، هذا والله ﷻ فيه رد مُجمل على كل شبهة، وبه تصل النفس إلى الطمأنينة، وفيه رُقية من الوسواس ومن خواطر الشياطين، والإنسان كلما تدبر القرآن الكريم كلما انفتحت له معارف، وتدبر القرآن لا تغني عنه قراءة المطولات ولا الأبحاث ولا العلوم، فوالله ﷻ لا شيء يغني عن تدبر كتاب الله ﷻ، لا هذه المحاضرات ولا غيرها ولا البحث الأكاديمي ولا البحث المنهجي.

فوالله أقصر وأحكم وأعلم طريق لتعرف لتفنيد كل شبهة ولتؤصل اليقين في نفسك أولاً هو أن تقوم بتدبر كلام ربك ﷻ.

فالملاحظة على صنفين لا ثالث لهما: إما عندهم جهل أو عناد؛ فالإنسان لا يكفر إلا (بجهل أو عناد):

- الجهل ينقشع بأن يقوم الإنسان بتدبر كتاب الله ﷻ وتحصيل العلم منه؟
- العناد يزول باستمرار تلاوة كتاب الله ﷻ، فالإنسان يشعر مع الوقت بإنقياد نفسه لكلام الله ﷻ.

فالقرآن يصلح للحالتين الجهل والعناد، فهو يصلح للجاهل فيعلمه، ويصلح للمعاند فيجعله مع الوقت ينقاد لله ﷻ حيث تنكسر نفسه لله ﷻ. فلا بد أن نؤسس قبل أي شيء، وإذا لم نخرج من كل المحاضرات إلا فقط بهذه القضية فوالله تكفيناً.

يقول الرازي رحمه الله (المتكلم) بعد أن استغرق في كتب الفلاسفة: "لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلاً ولا تروي غليلاً، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن" <sup>١</sup> انتهى، إذن أقرب الطرق التي تزيل ما في النفس من فتور وضعف وشبهات وشهوات وفتن هي طريق القرآن الكريم، وبالطبع هذا الكلام يتفق عليه كل من تدبر كتاب الله ﷻ ونظر في المقابل إلى كتب المتقدمين من الفلاسفة وغيرهم.

<sup>١</sup> الرد على المنطقيين (٣٢١)

قال **الجويني** رحمه الله وهو من كبار المتكلمين: "قرأت خمسين ألفاً في خمسين ألفاً، ثم خليت أهل الإسلام بإسلامهم فيها وعلومهم الظاهرة، وركبت البحر الخضم، وغصت في الذي نهى أهل الإسلام، كل ذلك في طلب الحق، وكنت أهرب في سالف الدهر من التقليد، والآن فقد رجعت إلى كلمة الحق، عليكم بدين العجائز"<sup>٢</sup> انتهى. فليس أيسر ولا أقرب للنفس من القرآن الكريم وتدبر كتاب الله ﷻ.

**نصيحة:** إذا أردت أن تقوم بمشاريع دعوية أو حتى أن تحصن نفسك فلا بد أن يكون معك بالتوازي كل يوم ورد من القرآن ولو حتى حزب واحد من القرآن بتدبر، كل يوم يكون هذا الأمر ثابتاً معك وأنت طويلب علم أو طالب أو حتى شيخ كبير، هذا لا تتركه ما حييت، فهذا والله أنجح وأحكم وأعلم وأيسر وأقصر الطرق للحصول على اليقين ولتقنين كل شبهة ولتصل للسلام والهدوء النفسي، لا بد أن يستقر في نفوسنا هذا الأمر وليس عندي أي مشكلة أن أؤكد كل محاضرة على هذا قبل أن أبدأ، وأصل كل الأصول تدبر كتاب الله ﷻ.

---

<sup>٢</sup> سير أعلام النبلاء - طبعة الرسالة (٤٧١/١٨)



## جذور الإلحاد وتاريخ تطوره

### تعريف الإلحاد وأصناف الملاحدة

#### تعريف الإلحاد

- **لغة:** المعنى اللغوي: الإلحاد و معناه الميل، قال ﷺ: ﴿لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ﴾ [النحل: ١٠٣].

يعني يميلون ولذلك المعنى اللغوي يوضح الكثير من النقاط؛

إصطلاحاً: هي الدعوة إلى إنكار الخالق والغيب، والنبوات، واليوم الآخر.

يقول الملاحدة المعاصرون أن الفلاسفة المسلمين إتهموا بالإلحاد وكانوا ملاحدة كابن سينا ﷺ وغيره، وبالفعل علماء المسلمين قالوا: "ابن سينا كان ملحداً" فهم يقولون أن ابن سينا ﷺ كان ينكر الخالق والنبوات، هذا كلام قديم، فنرد عليهم أن هذا خلط عنده بين التعريف اللغوي والإصطلاحي للإلحاد: فالتعريف اللغوي للإلحاد هو الميل، فكل من كان عنده مشكلة مثلاً في باب الأسماء والصفات فهذا ملحد لغة، فهذه قضية أخرى؛ لأن هذا الإلحاد الإصطلاحي بمعناه المعاصر لم يظهر إلا بعد القرن الثامن عشر الميلادي أما هذا قول حديث جداً ظهر في أوروبا مؤخراً.

أما ابن سينا ﷺ وغيره ممن أتهموا بالإلحاد فعندهم مشاكل في باب الأسماء و الصفات (مشاكل بالعقيدة) لكن لا تعني الإلحاد بمعناه المعاصر فهذه نقطة مهمة جداً في التعريف.

#### أصناف الملاحدة

١. **الملحد:** هو الشخص الذي ينكر الخلق والغيب والنبوات واليوم الآخر؛
٢. **الربوبي:** هو الذي يؤمن بأن هناك خالفاً لهذا العالم لكنه ينكر الأنبياء؛
٣. **اللاأدري:** هو شخص متوقف يعني ليس لديه أدلة قطعية على الإيمان ولا أدلة على الكفر.

ولكن بالمجمل كلهم ملاحدة: الربوبي واللاأدري، فترى الربوبي ينسب بعض صفات الله ﷻ للطبيعة مع الوقت (لاشك أنه ملحد) وسنتعرض لهم بالتفصيل فيما بعد وهذه تعريفات قاصرة وسريعة على أنهم مختلفون لكنهم في الواقع ملاحدة.

## الجدور الأولى للإلحاد

لم يظهر الإلحاد بمعناه المعاصر بصورة واضحة إلا بعد القرن (١٨ م)، وإن كان بعض الأشخاص تُنسب إليهم الإلحاد في القرون القديمة مثل **دياجوراس** وغيره، وكثيراً ما يُطرح السؤال: هل بدأ مرة واحدة بأن قال أحدهم أن هناك مشكلة مع الخالق؟

والجواب أنه بالطبع لا، القضية ظهرت ككل الفلسفات الإلحادية في العالم وهي: أن يأتي شخص و يقول: 'أنا تنويري'، فهذه بداية الإلحاد في كل أمة، في المسيحيين، والمسلمين واليهود والهندوس، يأتي شخص ما مخبراً أنه تنويري، يدعو إلى التنوير فيقوم بتأويل النص الديني الشرعي ويخرجه عن معناه ليتفق مع أي ثقافة أو لهوى في نفسه

مثال: حين يقرأ الشاب الصغير آية قرآنية معينة مثلاً ويعرف أن التنويري غير معناها لمعنى آخر، فهنا تسقط قيمة النص في قلبه، وبالتالي أي آية سيفهمها ربما هذا التنويري عنده فهم آخر لها، فهنا يبدأ يسقط تسليمه للنص الشرعي مع الوقت وهنا يبدأ الإلحاد في الظهور.

الملاحظة في أوروبا بدأوا هكذا، والملاحظة في العالم الإسلامي اليوم يريدون أن يفعلوا نفس الحركة، والملاحظة الذين هم دعاة الكفر على الإنترنت، وشبهاتهم التي تم الرد عليها وتقنيدها، أصبحوا مجموعة من الكائنات النمطية المكررة؛ يكرر الشبهات كما هي، لا يوجد أي تجديد إلا في المونتاج والشكل الخارجي، لكن الشبهات كما هي، فظهرت بينهم فرقة عرفت أن الإلحاد بهذه الصورة سيخف مع الوقت وسينتهي، فبدأوا يقولون 'نحن تنويريون'، فسبحان الله! أخذوا نفس الكلمة التي في أوروبا، بنفس البداية، بنفس الشكل، وكأننا لا نعي ما يُخطط لنا، فاستخدموا نفس الكلمة، قالوا 'نحن تنويريون، ونريد التنوير، نريد فقط أن نأول النص الشرعي حتى يقبله الغرب'، فبدأ ينكر السنة؛ لأنه هنالك أحاديث، الغرب لن يقبلها، فينكر السنة، ثم يبدأ بتأويل آيات قرآنية لتتفق مع الهوى الغربي، فهنا تسقط قيمة النص في القلب، ويبدأ الإلحاد في الإنتشار ذاتياً دون أي مجهود.

## الفرق بين الملحد والتنويري: بدايتان مختلفتان ونتيجة واحدة

فمثلاً يقول الملحد: أن الخمر لا مشكلة فيها 'اشرب كما يحلو لك' أما التنويري فيقول لك: 'أنا سأقوم بتأويل النص الشرعي حتى أجعل الخمر حلالاً'، هكذا تسيّر لعبة الخبثاء:

مثال: ذات مرة، أحد من هؤلاء، مغربي يدّعي أنه مسلم، يقول أنا تنويري، ويقول أنه لم يرد في القرآن الكريم أن رمضان صيامه فرض، لم ترد كلمة (ف،ر،ض) فرض، إذن ليس هناك شيء يسمى صوم رمضان، لعبة في

منتهى الخبث والغباء والحمق، لكنها مع الوقت تدخل على إنسان بسيط العقل، ليس لديه أسس العلم الشرعي، وفي قوله ﷺ: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ [البقرة: ١٨٣] لا يوجد كلمة فرض، أهم شيء أن تجد كلمة فرض!

فلعبة دعاة التنوير هي محاولة تأويل النص الشرعي بإخراجه عن سياقه وعن معناه حتى تخفت قيمته في قلب المسلم مع الوقت، وبالتالي الإلحاد سيخطفه ذاتيا من غير أي مجهود، فهنا يبدأ الإلحاد.

## تطور الإلحاد

الإلحاد بدأ في الغرب بهذه الصورة، البعض قال: نحن دعاة التنوير ونريد تأويل الكتاب المقدس حتى نخرج من الإشكالات التي فيه، فماذا حصل مع الوقت؟! أصبح الكتاب المقدس معاني رمزية، أي كلام في الكتاب المقدس كلام رمزي ليس له واقع حقيقي، ربما قصة إبراهيم عليه السلام قصة رمزية، بمجرد أن انتهى الأمر، ألد الناس بلا أي مجهود، فأخطر شيء هو إخراج النص عن معناه وعن سياقه.

كتاب الله عزير ﷺ، والذي لا بد أن يُسَلِّم له الإنسان ويعظمه في قلبه، ولا بد أن يكون النص على ظاهره إلا بقرينة، وهذا معروف عند أهل التفسير: فالقرآن الكريم يُحْمَل، يُفَدَّس ويُعْظَم، وأي تلاعب في كتاب الله ﷻ بمحاولة تأويله لموافقة الهوى الغربي أو الثقافة الغربية، هنا يبدأ الإلحاد: فيقول لك: أن الغرب حالياً ليس لديهم شيء اسمه عقوبات على الزنا مثلاً، أي أنه إذا ارتكب أحد الفاحشة وكان متزوجاً (ليس له عقوبة)، فيبدأ هذا الشخص يُنكر هذه العقوبة، فينكر السنة حتى يوافق الغرب، ويبدأ بتأويل كتاب الله ﷻ، فهذه هي اللعبة الخبيثة

لكن إذا كان القرآن الكريم والرَّسُلُ ﷺ يأتون حتى يتفوقوا مع الثقافات السائدة فما قيمة النبوة؟! الرسل يأتون ليُصَحِّحُوا هذا الفساد وليُعيدوا الناس إلى الفطرة وإلى التسليم لله ﷻ وكمال العبودية له وحده، بهذا أتى الرسل ﷺ وليس حتى يوافقوا الثقافة السائدة، فيجب أن نفهم كيف بدأ يتحول الملاحدة الآن حتى نفهم الألعاب التي يستخدمونها، ونبدأ نكشف أن هناك جرس إنذار هنا وهناك.

فالإلحاد هو إنكار الخالق، لكن قد يأتي بصورة تنويرية بإخراج النص الديني عن معناه وعن مراد الله ﷻ منه حتى مع الوقت تخفت قيمة النص في القلب فيُلجِد من يُلجِد يجب أن نفهم هذا الأمر، لأن بعض الناس للأسف الشديد تلبس عليه هذا الموضوع، فَيَفْتَن عن دين الله ﷻ دون أن يدري.

فخلاصة ما قلنا، أن الإلحاد بدأ في القرن الثامن عشر مع ظهور مشروع التنويريون في أوروبا، وبالطبع هناك شخصيات معروفة مثل فولتير وغيره، وهذا التنويري لم يكن ملحداً، بل كان شخصاً يُدرِّس الأخلاق لخدومه لكنه

حوّل منصبه وبدأ أولاً وصف الهوى السائد ومن ثم بدأ الإلحاد في الإنتشار، وبعد فترة أصبح عند الملاحظة مشكلة حيث كان الإلحاد صحيحاً وفقاً لنظرة الملاحظة أنفسهم.

فلماذا أجمع أهل الأرض عبر كل العصور على الدين؟!، ولماذا لا تكاد مدينة تخلو من الدين؟!، فربما هناك مدن بلا أسوار، مدن بلا مصانع، مدن بلا مدارس؛ لكن ليس هناك مدينة عبر كل التاريخ بغير معبد أو ديانة.

هذا الأمر يشكل مشكلة عند الملاحظة حتى أن واحداً من دعاة التنوير إميل دوركايم عالم إجتماع فرنسي شهير حاول أن يفسر ظاهرة الدين السائدة عبر كل العصور وعرج إلى أن الدين تم إنشائه لأن كل المدن قديماً كانت تجتمع فيما يعرف (بالطوتم) ومن هنا ظهر الدين!

قطعاً هذا التفسير لو قدم لإنسان عاقلٍ سيقول هذا تفسير غريب وغير منطقي؛ لكن لو تعمق أكثر في النقد سيكتشف أن هناك بلاد كاملة لا تعرف معنى الطوتم، ومع ذلك عندها معبد! بل أن هناك قارات كاملة ليس عندها فكرة الطوتم ومع ذلك عندها الدين، بل أن هناك أمم وحضارات بأكملها لا تعلم شيئاً عن الطوتم ومع ذلك كلها على الدين سواء المحرف أو الصحيح: فتفسير دوركايم تفسير سخيف ورغم ذلك فقد انتشر في أوروبا في القرن التاسع عشر ولاقى قبولاً من الناس وأخذوا بفكرة الطوتم! ثم بعد دراسة البرديات القديمة نستخلص أن الطوتم ماهو إلا "شعار لقبيلة" لا أكثر. مثله مثل العلم، ولا علاقة له بالدين.

كما أن الدكتور عبد الله دراز رحمته الله، والذي عاش بفرنسا حوالي عشر سنوات، رد أيضاً على تفسير دوركايم فقال: "إذا كانت فكرة الطوتم هذه فكرة صحيحة كما تزعم فمن أين جاءت فكرة الإله خالق السموات والأرض الإله الواحد، لماذا انتشرت هذه الفكرة بهذه الصورة في كل الحضارات لدرجة أنه لا توجد حضارة على وجه الأرض ولا ثقافة ولا أمة إلا وفيها هذه الفكرة سواء النقية أو المحرفة لكن فيها هذه الفكرة، أن الله الواحد خالق السموات والأرض والمستحق للعبادة" انتهى.

فكرة كل الثقافات سواء عند اليهودي أو البوذي أو الهندوسي، كل أمة لو بحثت في أصولها ترى فكرة أن هناك إله واحد خالق السموات والأرض وهو وحده ﷻ المستحق للعبادة، والفرق بين الإسلام وبين غيره من الديانات أن الإسلام هو الدين التوحيدي الباقي على النقاء الأول، فهو التوحيد النقي الذي به كمال العبودية لله ﷻ وحده، بينما بقية الديانات جعلت مع الله ﷻ آلهة أخرى، أو جعلت الإله قومياً خاصة بها أو ما يسمى بوحدة الوجود، لكن لم يبق على التوحيد الذي أتى به كل الأنبياء إلا الإسلام، وفكرة الطوتم التي سيطرت على العقل الأوربي والتي ظلت لسنوات، هي فكرة ليس لها علاقة بالواقع ولا بالعقل

الإلحاد كان كله يكتب على الورق مجرد نظريات وتأصيلات منتشرة خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر: فخلال القرنين كان الملاحدة يفكرون ومن ثم يدونون وهم على مكاتبهم، ولم يتحول الإلحاد إلى أرض الواقع لتصبح له دولة ونظام وشعب إلا في القرن العشرين، وتحديداً في خضم ثورة البلاشفة بروسيا في عام ١٩١٧، حيث أصبح له صورة واقعية ومن ثم ظهرت أكبر محارق عرفها التاريخ، وهما الحربين العالميتين الأولى والثانية وأصبح التساهل في كل شيء، الفاحشة، والشذوذ، والإجهاض المُتعمد، وقتل الأجنة، والقتل المتعمد، فالإلحاد برر كل هذه الأفعال المشينة وبالفعل كان الإلحاد في أوروبا مدخلاً له صدى من مداخل الخراب الذي لحق بأوروبا في الحكم والنظام.

مثال الفكر النازي: والفكر النازي يقوم على أن هناك إنساناً أدنى وإنساناً أعلى، وفي نظر الملحد والفكر الإلحادي، البشر ماهم إلا مجموعة من الحيوانات، حيوان أرقى وحيوان أدنى، وبالتالي فإن هناك عرقاً أرقى وعرقاً أدنى! كما يقق للعرق الأرقى أن يُدخّل الأعراق الأدنى إلى أقفاص حيوانات، وهذا ما حدث في أوروبا، حيث تم فتح أقفاص حيوانات للبشر، فبدأوا بإبادة البشر الأدنى!

والفكر النازي كله يقوم على هذه المسألة والتي هي (Underman) - (Subman) أو الإنسان الأدنى، فالفكر النازي يقوم على تنقية ألمانيا من الأعراق الأدنى في وقت هتلر: فاعتبروا في ذلك الوقت أن اليهود عرق أدنى، والأقزام عرق أدنى، والغجر عرق أدنى، بالإضافة إلى السلافيين فهم كذلك عرق أدنى، وكثير من الأعراق تمت إبادتها في أوروبا، ليس لأن هتلر كان مجنوناً. بل إن كل قرارات هتلر كانت قرارات موافقة لرأي الشعب الألماني، كما أن هتلر لم يكن شخصاً مختلاً، بل كان يطبق النظرة المادية المجردة، ولما طبق الإلحاد على أرض الواقع تحول البشر بالفعل إلى كائنات أشبه بالمجانين، فلا دين يعصمهم وإتباع الهوى هو السائد، وأصبح كل من يملك القوة يستخدمها لتحقيق مصالحه الشخصية، مما أدى كما ذكرنا سالفاً إلى المحرقة النازية، ومحرقة الحرب العالمية الأولى والثانية.

وكما أن ظهور كثير من الفلسفات الإبادية تحت رأس الإلحاد، على سبيل المثال: الماوية في الصين والفاشية في إيطاليا والايستالينية في السوفيياتي والنازية في ألمانيا، وبانتهاء الستينات بدأ الناس يُدركون سخافة هذا الأمر وعدم عقلانية ولا منطقية هذا الأمر فبدأ الإلحاد مرة أخرى يخفت تدريجياً ويختفي من أنظمة الحكم ليعود مرة أخرى إلى التنظير فقط.

واليوم لم تبقى دولة ملحدة على وجه الأرض إلا دولة كوريا الشمالية، الدولة الوحيدة الملحدة الآن على وجه الأرض. والتي إذا ذُكرت ضحك الناس على ما حل بهذه الدولة، والتي يحكمها الإلحاد حتى الساعة والوحيدة التي بُنيت على الإلحاد، كما أنها تُصرح بذلك علناً.

إذاً، الإلحاد بدأ يخفت من الستينات كما بدأ يذبل و بعد وقت من الزمن. تقريباً في ٢٠٠٥، ولك أن تتخل اليوم لو أن أفكار النازية لازالت مستمرة حتى الآن! وبدأ يظهر الإلحاد بصورة أخرى مخالفة تماماً للصور القديمة، حيث يقول الملحد مرتدياً زوراً لباس العلم بإلحاده مُدعياً أن الإلحاد علمي! ومن ثم يلبس إلحاده بما لم يعطى، بل ويدعي أدلة علمية ليرسي زعمه المكذوب، ومن ثم يبدأ يستخدم حُجج، فإذا إذا سألت الملحد:

- ما قولك أيها الملحد في النظرة للإنسان؟ الملحد يصمت
- ما قولك أيها الملحد في المرأة؟ والمرأة إلحادياً: هي أدنى من الرجل وكائن أقرب للغوريلا على شجرة التطور كما نُقل عنهم! وسيأتي التفصيل في هذا الأمر بإذن الله ﷻ.

كما أن الإلحاد أيضاً يصمت عن تناول هذه المواضيع التي ربما تُصدم الجمهور، والتي تشير إلى إعادة النازية، الإلحاد الآن يسكت عنها تماماً، متجاهلاً إياها حتى يُبقي على الواقع ويكون له أتباع ومتابعون ويبقى له بعض السند المعرفي!

## مزاعم الإلحاد وشبهات الكون

## الشبهة الأولى: الكون أتى صدفة

زعم قديم لكنه أعيد صياغته مرة أخرى وهي أن هذا الكون أتى بالصدفة

نحن نعلم أن الكون قطعاً له بداية زمان، وكان هناك تخيل أن الكون أزلي، لكن مع الوقت تبين في القرن العشرين وتحديداً في عشرينيات القرن الماضي أن الكون بما لا يدع مجال للشك له بداية للزمان والمكان، ومن هنا نجد الملحد يحاول أن يخرج من هذا الإشكال بقوله: 'نعم له بداية لكن ما المانع أن يكون أتى بالصدفة؟!'

ونرد الآن على هذه الشبهة فنقول: كلمة صدفة كلمة تحتاج إلى زمان ومكان، أي أنه مثلاً احتمالية ظهور الرقم ٤ على الطاولة: فهذا يحتاج إلى مكان وزمان حتى يظهر هذا الرقم، لكن الكون أتى من اللامكان واللازمان. وبالتالي من اللاصدفة، إذن لم يكن هناك أصلاً أي دور للصدفة، لأن الصدفة كما قلنا تشترط الزمان وتشترط المكان والكون أتى من اللامكان واللازمان وبالتالي من اللاصدفة.

لم يكن هناك دور للصدفة في ظهور كوننا ثم إن الكون ليس شيئاً عبثياً أبداً بل أتى بمنتهى الضبط، ومنتهى الحدود الحرجة للتوابت الفيزيائية فيه، فالموضوع ليس ظاهر الكون، لا، إنها قوانين ونواميس في منتهى الضبط والدقة، نواميس مبهرة، فكونك تقترض أن الصدفة لها دور، هذا إفتراض عقلي محض، ليس عليه أي برهان ولا دليل.

## الشبهة الثانية: لا إشكال في فرضية أن الكون جزء من أكوان كثيرة

الملحد يقول: ربما هناك أكوان كثيرة، والكون الذي نحن فيه ظهر بين هذه الأكوان

دائماً نلاحظ أن الملحد يلعب بفكرة الخيال المحض، لأنه لا يملك برهاناً في ذاته، ليس لديه برهان على كلامه، أي خيالات وأي أوهام يلقي بها على الطاولة، كي يُشغل الناس.

- أولاً: نقول لمثل هذا أن فكرة أكوان أخرى هذا أمر لا يوجد عليه برهان واحد، ليس هناك دليل واحد على هذا الكلام، ولن تستطيع أن تأتي ببرهان واحد على ذلك، وأنت فقط تقوم بفروض عقلية محضة، شروط عقلية محضة.
- ثانياً: أكوان أخرى هذا له إلزامات عميق: لأن هذا يعني أن هناك تعقيد أعلى وإتقاناً أكثر إبهاراً، فأنت لا تناقش أدلة الإتقان والإبهار في عالمنا وإنما إتقان وإبهار في عوالم أخرى كثيرة.

- ثالثاً: من أين جاءت كل هذه الأكوان؟ ما مصدر كل هذه الأكوان؟ بمعنى إذا كانت هناك أكوان كثيرة، وطبعاً من افترضوا حتى هذا الافتراض يقرّون أنّ كل كون من هذه الأكوان له بداية، إذاً فما مصدر هذه الأكوان؟

فدائماً تلاحظ أن الملحد يلعب على نقطة التي يقول فيها العلم إفتراضات فقط، أما العلم اليقيني فالملحد أبعد ما يكون عنه، فهذا هو ملعب الملاحدة، الخيالات المحضة كما قال ﷺ: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ [الأنعام: ١١٦] وقال ﷺ: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ﴾. [الدخان: ٩]، فالله ﷻ سمى الشك الغير مبرهن في القرآن على أنه لعب، أي شك بلا دليل: هذا لعب، فأنت أيها الملحد تلعب، فروض عقلية لا تنتهي: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ﴾، فأنت بإفتراضك أكوانا أخرى تلعب لا أكثر.

أحد المناطق رد على هؤلاء واسمه **سندوف**، فقال لهم: "لو حاولت أن تغرق سمكة بكل بحار العالم فلن تغرق" انتهى. بمعنى أنك تحاول أن تخفي هذا الكون وسط آلاف الأكوان، الكون لن يختفي، ستبقى أدلة أن هذا الكون وأنه بدأ بقوانين ونواميس وإحكام مبره، ستبقى هذه الأدلة ظاهرة أيضاً، لن تستطيع أن تخفيها وسط مليارات الأكوان مهما افترضت، لأن السمكة تتنفس في الماء، إن ضربتها بالمياه تبقى مثلما هي حية، كذلك الكون، إذا حاولت أن تخفيه بين الأكوان ستبقى القوانين التي نحيا فيها ظاهرة، فلماذا تلعب كل هذا اللب وماذا تريد بكل هذا اللب؟!

فالمشكلة كلها عندهم هي العب عقلية يحاولون بها أن يخرجوا من تصميم الكون، فيقعون في تصميم أكثر إبهاراً ويقعون في إتيقان أكثر، فالعب هؤلاء لا تنتهي، وتبقى كل هذه الألعاب بلا بينة، بلا حجة لا تستطيع أن تأتي ببرهان على فرضية واحدة من هذه الفروض، وإنما هي مجرد ألعاب.

### الشبهة الثالثة: لا إشكال في فرضية تعدد الأكوان

ما المانع أن غداً وبعد غد نكتشف أنه بالفعل يوجد أكوان أخرى؟ ما المانع العقلي أن نكتشف في الغد أن هناك أكوان أخرى؟

أولاً: رياضياً وفيزيائياً هذا مستحيل: فمستحيل أن نكتشف أنه يوجد أكوان أخرى، لأنه حتى تصل إليك هذه المعلوم، يكون هذا الكون قد انتهى، لأنك عندك حجم للكون مقدر بمليارات السنوات الضوئية، فحتى تصل لمعلوم خارجه يكون الكون أصلاً عمره الإفتراضي الذي يتوقعه العلماء انتهى أصلاً، فهذا محال علمياً ومحال عقلياً ومحال رياضياً؛



ثانياً: ليس هناك مانع شرعي من ذلك أصلاً، الحمد لله رب العالمين، فالله ﷻ أعلم بخلقه وعظم خلقه ﷻ؛ لكن هذا لا يشكل مشكلة مع برهان الخالق ﷻ، مع برهان الإتيان، بالعكس كما قلنا هذا يثبت هذا البرهان أكثر وأكثر.

ومن المهم أن نفهم أنه عندما يطرح ملحد مستقبلاً احتمالية حدوث هذا الأمر، فهذه لعبة تسمى "لعبة الإحالة إلى المستقبل"، ويقول لك: 'أنا سأظل كافرأً على أمل أن أرى في المستقبل ما يدعم كفري، سأظل كافرأً على أمل أن أجد في المستقبل تبريراً للكفر والضلال'

طبعاً هذا منطق غير مستقيم، ومنطق تستطيع أن تفنده ذاتياً، إذاً بكلامك هذا أيها الملحد الأدلة التي بين أيدينا اليوم تثبت أن هناك خلقاً إلهياً مدهشاً، لكنك تحاول أن تغفل هذا الخلق الإلهي بإفتراض غير موجود، افتراض غير متاح في عالمنا، 'غداً من المحتمل أن يحدث هذا الشيء'، وهذا لعب الملاحدة المستمر، لايد أن نستوعب لعبة "ربما في الغد"، ولايد أن نتقن أنها سفسطة.

وابن تيمية رحمه الله شيخ الإسلام كان يقول: "إنه ما من دليل إلا ويمكن أن تسفط نحوه" انتهى، بمعنى أي حجة يمكن أن تسفطها، فالسفسطة سهلة، لكن المهم هو البرهان، كما يقول ﷻ: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١]، فالمعيار و الفيصل هو ليس سفسطة، وليس الإفتراض العقلي، وإنما الحجة والدليل والبرهان.

فالإيمان يقوم على براهين قطعية لا حصر لها، بينما في المقابل الإلحاد لا يقوم إلا على خيالات وسفسطة وفروض عقلية، فلا يوجد شيء اسمه دليل على الإلحاد، وإنما منتهى ما يقدمه هؤلاء هو مجرد الخيالات والفروض والسفسطة، (ربما - إحتمال - هنالك احتمالية) هذا الأسلوب المعروف عندهم، ما أيسره على ضعاف العقول، لكن الإنسان إذا تدبر حاله سيعرف أين يقف القوم، القوم يقفون على اللاشيء، ليس عندهم من حجة أو برهان فيخرجوه لنا، كما قال فيهم المولى ﷻ: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١١٦]، ليفترضوا افتراضات عقلية لا تنتهي.

## دلائل وجود الخالق ﷻ

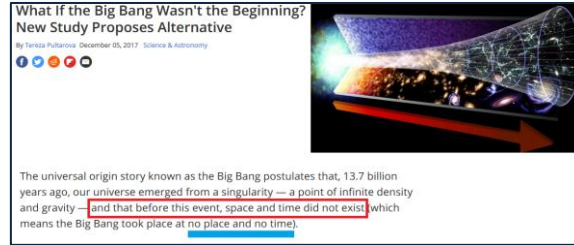
دلائل وجود الخالق ﷻ كثيرة لا تُحصى، ومن ذا الذي يُحصي خلقه ونعمه وجوده، وما لا حصر له من براهين وجوده وكمالِه؟ ويقدم لنا القرآن الكريم ثلاث مراتب من الأدلة الكبرى على وجود الخالق ﷻ، ومراتب أخرى استثنائية كثيرة، وهنا قد يسأل سائل ويقول: كيف نحتج بالقرآن على ملحد لا يؤمن به؟

نحن نُقدم الأدلة العقلية التي يطرحها القرآن الكريم في إثبات وجود الخالق، وهذه الأدلة تستوي حُجتها في نظر المؤمن بالقرآن وغير المؤمن به؛ لأنها أدلة عقلية.

## دلائل القرآن الكريم

## دليل الإيجاد

- كل شيء مُحدث لا بدّ له من مُحدث: كل شيء مُحدث، أي: وُجد بعد أن لم يكن موجوداً، لا بد له من مُحدث أي: موجد، والكون كلّهُ بكل ما فيه من مادّة وقوانين وأفلاك، مُحدث بلا خلاف بين علماء الأرض.



الكون وُجد بعد أن لم يكن موجوداً، والشئ المُحدث الذي وُجد فيه بُرهان أكد على الموجد! هذه بديهة يستوي في التسليم لها كل البشر.

- يقول ستيفن هوكينج **Stephen Hawking** في كتابه الشهير (تاريخ موجز للزمان): "وجود بداية للكون هذا الأمر له لوازم دينية" انتهى
- ويقول الفيزيائي فرانك تبلر **Frank Tipler**: "لقد بدأت حياتي المهنية كملحد، لم أتصوّر حتى في أحلامي أن حدوث قوانين الفيزياء ستدفعني إلى الإيمان بالخالق" انتهى

٣ ستيفن هوكينج، تاريخ موجز للزمان، ص ٩٢.

٤ Frank Tipler، the Physics of immortality، p.ix، نقلًا عن براهين وجود الله، د. سامي عامري، ص ٦٣ (بتصرف)

فكل شيء وُجد فيه برهان على الموجد وبالتالي فكل ذرّة وكل جُسيم في الكون، وكل نشاط لذرّة هي براهين بعضها فوق بعض على وجود الخالق ﷻ، فهذا الوجود وهذه الذرّات وهذه الجُسيمات؛ هذا الكون بكل ما فيه من مادة هو كون عَرَضِي مُحدَث ليس أزلياً.

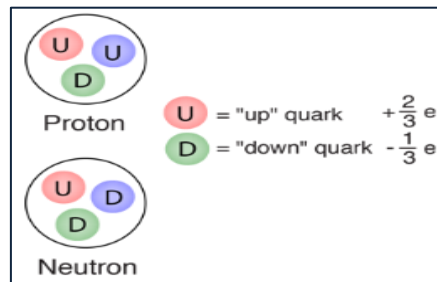
الكون بكل قوانينه ونواميسه غير مُكتفٍ بذاته، وإذا استقرت هذه البيهيات العِلْمِيَّة في ذهنك فسينصرف عقلك إلى الموجد، وسيبرهن لك بأن لهذا الكون خالقاً لا محالة، فهذا يُسمى بـ: "برهان الإيجاد" وما أكثر آيات القرآن الكريم التي تلفت أنظارنا إلى هذا البرهان، وتدفعنا دفعا للتفكير فيه والتأمل.

اقرأ قوله ﷻ: ﴿قُلِ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١]، واقرأ قوله ﷻ: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٨٥]: فكل شيء خُلِق، كل شيء أُحدِث، كل شيء وُجد؛ فيه دليل عقلي وبرهنة مباشرة على الموجد!

## دليل الإتيان

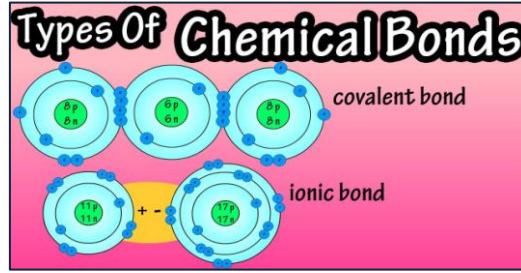
كل شيء في الوجود على الإطلاق من الكواركات -أصغر جُسيم تمّ رصده- إلى أكبر الأجرام، كل شيء في الكون يحمل درجة من درجات التعقيد الوظيفي: والمقصود به أن يؤدي وظيفة متخصصة ومهمة مُحدّدة، يحمل درجة من الإتيان: وهذا الإتيان، هذا التعقيد الوظيفي، هو مرتبة زائدة على مجرد الوجود: فالوجود مرتبة والتعقيد الوظيفي -الإتيان- مرتبة زائدة على مجرد الوجود.

- ولو نظرت من حولك فكل شيء حولك مُصمّم بشكلٍ معين ليؤدي وظيفة محددة، ولو نظرت في أعماق أعماق الذرّة ستجد أن الكوارك مُصمّم بشكلٍ معين لأداء مهمة مُحدّدة: فالذرّة والفوتون والقوانين الفيزيائية والطاقة، كل شيء له وظيفة ويؤدي مهمة، حتى العناصر المشعّة لها دورها الحيوي في تمايز طبقات الأرض!



- كذلك الروابط بين الذرات: الروابط الكيميائية الأيونية والتساهمية التي تجري بين الذرات لتكوين الجزيئات، وكيف أنّ الذرة تقبل هذا التعاقد، وترفض تعاقدًا آخر، فتقبل ذرة الصوديوم التعاقد مع ذرة الكلور لتكوين ملح الطعام، بينما ترفض الذرات المكوّنة للسيراميك التعاقد مع الذرات في خلايا جلدك!

هذه الصور المدهشة من التعاقد ورفض التعاقد تؤدي إلى كل الأشكال والتنوعات المبهرة المحيطة بنا.



كل ما حولك يحمل تعقيدًا وظيفيًا، كل ما حولك يحمل تسخيرًا لعملٍ مُحدّدٍ! هذا التعقيد والتسخير والإتقان هو بُرهان خَلق وإبداع، لذلك الملحد الشهير أستاذ ميكانيك الكم بجامعة أوكسفورد **ديفيد دوتش** يستهزئ من الحال التي وصل إليها الملاحدة فيقول: "إذا زعم أيُّ إنسان أنه لم يتفاجأ من الإتقان والدقة في هذا الكون وقوانين هذا الكون، فهو ببساطة يدسُّ رأسه في الرمل؛ المفاجآت كثيرة وغير مُتوقعة" انتهى

Support The Guardian  
Available for everyone, funded by readers  
Contribute → Subscribe → Sign in The Guardian

**Andrew Brown**  
Thu 8 Jan 2009 17:06 GMT

Dr. David D. Deutch remarked:

*If anyone claims not to be surprised by the special features that the universe has, he is hiding his head in the sand. **These special features are surprising and unlikely.***

فالإتقان في الكون يفاجئ العلماء، وما أكثرَ الآيات التي تحدثت عن دليل الإتقان في القرآن الكريم:

قال الله ﷻ: ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٨٨]، وقال ﷻ: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾ [السجدة: ٧]، وقال ﷻ: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ۝ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ۝ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ [الأعلى: ١-٣].

كثيرة هي الآيات التي تُؤكد هذا البرهان العقلي السامق: برهان الإتقان! لكن للأسف هذا الإتقان لا يبهر كثيرًا من الملاحدة ممّن يُجهزون للسفسطة حتى قبل أن يتأملوا البرهان الذي يحمله هذا الإتقان! ولذلك فقد أحسن **ديفيد دوتش** حين وصفهم بأنهم: "يدسُّون رؤوسهم في الرمال" انتهى



## أمثلة لدلائل الإتيان

### ١. زهرة الأوركيد:



وأنا أدعوك لتتأمل الإتيان في زهرة الأوركيد **Orchid** التي تتخذ صورة تُطابق تمامًا صورة أنثى النحل، فيأتي ذكّر النحل محاولاً تلقيحها فتلتصق حَبَّات غُبَار الطلع في رأسه، ويقوم بالعملية نفسها في أوركيد أخرى، فيقوم بالتلقيح المثالي لزهرة الأوركيد دون أن يدري.

والأعجب من ذلك أن زهرة الأوركيد **Orchid** تُفرز نفس الرائحة الخاصة بأنثى النحل: **فيرمون Pheromone** أنثى النحل، وليس شكلها فقط.



تأمل في هذه الزهرة العجيبة زهرة الأوركيد، ولا تنس أنها كائن لا يعي من أمره شيئاً، ولا يُدبّر من أمره شيئاً.

ومع هذه الخاصية المعجزة للتلقيح عند الأوركيد، فهي تعيش في توازن بيئي مثالي مع غيرها من الكائنات، فلا تطغى عليها بحيث تنتشر في الأرض على حساب غيرها من النباتات؛ فسبحان فاطر الخلق، ومودع عجيب الصنع في كل شيء.

وحتى تشارلز داروين نفسه اعترف قبل عام من وفاته أن ما تقوم به زهرة الأوركيد يعصف بعقله؛ نعم! يعصف بلأدريته، ويعصف بكفره!<sup>٥</sup> لكنَّ بعض الملحدّين المعاصرين للأسف لا يُعصفون، ولا يتأثرون بهذه الأمور ولا بهذه البراهين، فهم يعيشون حالة من السفسطة الجاهزة! فما أعجبَ براهين الإتيقان لو تدبّروها!

ومنَ نظر في براهين الإتيقان بتجرّدٍ للحق، سيُسلم بالخالق البارئ المصور الهادي العليم الحكيم القدير ﷻ!

## ٢. هرمون النمو:

Drugs & Diseases > Laboratory Medicine	
<b>Growth Hormone</b>	
Updated: Jun 07, 2013   Author: Muhammad Bader Hammami, MD; Chief Editor: Eric B Staros, MD <a href="#">more...</a>	
	
<b>Reference Range</b>	<b>Reference Range</b>
Interpretation	Random growth hormone (GH) levels in a healthy person range as follows:
Collection and Panels	• Men: < 5 ng/mL or < 226 pmol/L
Background	
Show All	

وإذا أردت أن ترصد بنفسك أحد أوجه براهين الإتيقان الإلهي، فإذهب لأحد معامل التحاليل الطبية، وانظر إلى معايير ضبط الهرمونات في أجسادنا: **هرمون النمو Growth hormone** على سبيل المثال، انظر في تركيزه في الدم: "٥ نانو جرام"، وبمُعادلة رياضية بسيطة، تجد أنّ جرامًا واحدًا من هذا الهرمون مُقسّم على ثلاثة آلاف إنسان، انظر لمقدار الدقة المبهرة، ولو ازدادت نسبة هذا الهرمون بمقدار يُقاس بأجزاء من المائة مليون من الجرام؛ فإن هذا قد يؤدي إلى مرض العملاقة، ولو قلّت بأجزاء من المائة مليون من الجرام قد تؤدي إلى مرض التقرّم.


تغيّرات كاملة في بنية الهيكل العظمي: عملاقة أو تقرّم، نتيجة زيادة أو نقص بهذا القدر البسيط والمدهش من هرمون النمو.



<sup>5</sup> "Well" that often comes over me with overwhelming force; but at other times" and he shook his head vaguely" adding" "it seems to go away." (Argyll 1885' 244)

٣. هرمون الأدرينالين:

أما لو نظرت في هرمون الأدرينالين، ذاك الهرمون العجيب الذي تشعر بتأثيره لحظة الخوف، ولحظة الخطر، فيُسرع دقات ضربات القلب، ويضخُّ الدم إلى العضلات، ويزيد من قُوَّة انتباهك، هذا الهرمون لو نظرت فيه لوجدت أنه مُقدَّر بضبط مبهّر في دمك.

 ScienceDirect

---

**Adrenalin Blood Level**

Joseph Feher, in *Quantitative Human Physiology*  
(Second Edition), 2012

Catecholamines Are Degraded Rapidly

The basal circulating plasma epinephrine concentration ranges from 25 to 50 pg mL<sup>-1</sup> (=about 6×10<sup>-10</sup> M)



وَبمُعَادلةٍ رِيَاضِيَّةٍ بَسِيطةٍ، فَإِنَّ حِجْمَ مِلْعَقَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْهُ تَقْرِيبًا تُوزَعُ عَلَى عَشْرَاتِ الْأَلْفِ مِنَ الْبَشَرِ! تَخَيَّلْ دِقَّةَ أَنْ مِلْعَقَةٍ وَاحِدَةٍ تُوزَعُ عَلَى عَشْرَاتِ الْأَلْفِ مِنَ الْبَشَرِ! دِقَّةٌ وَإِتْقَانٌ مِنْ أَعْجَبَ مَا تَرَى، كَمَا قَالَ رَبَّنَا ﷻ: **﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾** [القمر: ٤٩].

### دليل "رعاية للإنسان"

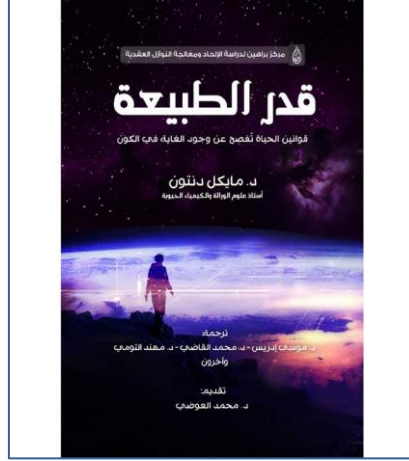
لو نظرت إلى الحدود الحرجة التي تُشكّل وظائفك البيولوجية، ودقّة هُرْموناتِك، والفندق الذي تعيش فيه، فندق النعم والخيرات: أرض تُنبت طعامك، وسماء تُمطر، كما قال ربنا ﷻ: **﴿إِنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ۖ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا﴾** [عبس: ٢٥-٢٦]، فندق متكامل من حولك، والفطرة التي بداخلك والتي تضبط قيمك، وتُعطيك وخزًا مستمرًا لضميرك بحيث لو أخطأت أو ظلمت تشعر بضرورة إصلاح نفسك، والنُّبُوت التي أتتك: أولئك الأنبياء ﷺ الذين جاؤوا ليضبطوا لك معرفتك وعملك، وما لا يمكن حصره من النعم؛ عند النظر في كل هذا تستوعب معنى دليل الرعاية.

فليس هناك إتقان فحسب، بل هناك رعاية وتسخير من أجلك أيها الإنسان؛ ما حولك مُسخَّرٌ لك، "فبنية كل ما يحيط بك يدلُّ على أنك مُدللٌ" انتهى، كما يقول عالم الفلك الأمريكي جون أوكيف، فنحن محاطون بالرعاية



الإلهية، وما الجوائز والكشوف الكبرى إلا كشوف لأوجه الرعاية في الكون، ثم ينال العلماء جوائز على هذه الكشوف.

فما أكثرها من نعم: نعم الهداية بالفطرة والنبوات، ونعم الرزق الدنيوي. ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾ [الشعراء: ٧٨-٧٩]، وكلما نظرت في الكون من حولك، رصدت مزيد أوجه تسخير من أجلك!



وفي كتابه (قدر الطبيعة) يسرد عالم الوراثة اللاأدري مايكل دنتون، آلاف البراهين العلميّة على هذا التسخير، وعلى هذه المعايير التي انضبط بها ما حولك لك: الكتاب مُبهر في هذا الباب وقد قام مركز براهين مشكوراً بترجمته ونشره، قال ربُّنا ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَةَ وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنبِئٍ﴾ [لقمان: ٢٠]

نعم لا تُحصى يعرفها كل إنسانٍ من نفسه، لكن للأسف ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنبِئٍ﴾ [الحج: ٨]



## شبهات وردود

## الشبهة الأولى: سبب غياب شيء ماديٍّ مسؤول عن إيجاد الكون بإبهار

هذا سؤال متكرر وبالمناسبة الذي يعرف جواب هذا السؤال سيعرف أيضًا جواب شبهة: مَنْ خَلَقَ الخالق؟ وهذا السؤال أجاب عنه علماء الإسلام قبل أكثر من ألف عام إذ قال علماءنا: "التسلسل في الفاعلين يؤدي بالضرورة إلى عدم وقوع الأفعال" انتهى، فالتسلسل في الفاعلين: أي وجود أكثر من خالق، مثل: حضارة عظيمة أوجدتنا، أو شيء مادي أوجدنا، أو خالق أوجده خالق آخر والخالق الآخر أوجده آخر وهكذا... فهذه الحضارة، هذا الشيء المادي، هذا الخالق المخلوق: هؤلاء جميعًا سيحتاجون لشيء آخر أوجدهم، والذي أوجدهم سيحتاج لموجدٍ ثالث وهكذا! هذا يُسمَّى بالتسلسل في الخالقين أو التسلسل في الفاعلين: لكل موجود مُوجد وكل مُوجد يحتاج لموجدٍ وهكذا، هذا التسلسل الذي يفترضه الملحد مُحالٌ عقلاً لأنه لو أنّ كلَّ موجودٍ له مُوجدٍ فلن يوجد أيُّ شيء؛ لأن كل شيء يترتّب وجوده على شيءٍ يسبقه، والذي يسبقه يحتاج لموجدٍ ثالثٍ وهكذا، بهذه الصورة لن يوجد أي شيء لا خالقون ولا مخلوقات؛ لأن الكل غير مُكتفٍ بذاته، الكل مفتقر!

فلا بد أن تقف السلسلة عند مُوجدٍ أوّل خالق أزلي، وإلا لما وُجد أي شيء!

وحتى نستوعب هذه القاعدة أكثر سنضرب عليها المثال الشهير مثال: الجندي والرصاص: لو أن جنديًا ينتظر الأمر من القائد بإطلاق رصاصة، والقائد ينتظر الأمر من قائدٍ آخر وهكذا إلى ما لا نهاية فلن تخرج الرصاصة أبدًا، فلو أن كل حضارة يتوقف وجودها على حضارة أخرى سبقتها، فلن تظهر هذه الحضارة ولا التي أوجدتها ولا التي سبقتهم، لن يظهر أي شيء لأن الكل مفتقر! فالتسلسل في الفاعلين يؤدي بالضرورة إلى عدم وقوع أفعال: التسلسل في الخالقين يؤدي إلى عدم وجود مخلوقات، وبما أنه هناك مخلوقات، إذن بالضرورة العقلية هناك خالق أوّل واجب وجود؛ (واجب وجود أي: لا يستمدُّ وجوده من غيره ﷻ)

وبالتالي فجواب سؤال مَنْ خلق الخالق؟ هو: لو أنّ لكل خالق خالقًا آخر وهكذا، لما ظهر أي خالق، ولما ظهرت أية مخلوقات.

وبناءً على ما سبق فإذا سُئِلَ ملحد عن: ما مصدر هذا الكون فأجاب بافتراض حضارة عظيمة أوجدتنا أو شيء مادي أوجدنا أو خالق مخلوق؛ فإنّ هذه الافتراضات من الملحد ستوقع في التسلسل المحال عقلاً، أيضًا هذه الافتراضات ليست جوابًا عن السؤال! لأن السؤال التالي من الطرف المؤمن سيكون كالآتي: ومن الذي خلق تلك الحضارة؟ مَنْ الذي خلق ذلك الشيء المادي؟ فالملحد لم يُقدم جوابًا بهذه الافتراضات.

ثم هل صاحب هذه الافتراضات يملك دليلاً أو برهاناً أو مستنداً أو خبراً من تلك الحضارة مثلاً؟ أم أن الأمر لا يعدو أن يكون رجماً بالغيب؟ وأنا أتساءل: كيف لصاحب افتراض بهذه السطحية أن يعيب على الجواب الديني؟

### مميزات الجواب الديني:

- الجواب الديني أكثر منطقية وتناسقاً مع نفسه، ولا يقع في التسلسل المحال عقلاً؛
- ثم إن الجواب الديني يملك دعماً نقلياً مباشراً، يملك النص الديني، ويمتلك برهان الأنبياء ﷺ الذين أتوا وأخبروا بهذا الجواب، وهؤلاء الأنبياء ﷺ أُيدوا بالمعجزات والدلائل لتوكيد صحة هذا الجواب!
- أيضاً الجواب الديني يملك مستند معارض، حيث لم تترك لنا تلك الكائنات هذه الدعوى العريضة التي تُثبت قيامها بذلك، فليس هناك معارض عقلي ولا نقلي ولا علمي لوجود الخالق ﷻ؛
- كذلك الجواب الديني متفق مع ما انتهى إليه العلم من عدم وجود أية مادة أو زمن قبل كوننا، بل المادة والزمن أتيا إلى الوجود لحظة ظهور الكون، وبالتالي فكيف يكون هناك شيء مادي أوجد كوننا إذا كان الكون أتى من اللامادة؟

جلست أتصور ما مُنتهى هذه الافتراضات التي يضعها الملاحدة: حضارة أخرى، خالق مخلوق، شيء مادي! ما مُنتهى كل هذا؟ وبعد تفكير وجدته أن ما يفعله الملاحدة بالضبط هو: أنهم يضعون في الطريق إلى إثبات الخالق، يعني هم سينتهون إلى إثبات الخالق وإلا لوقعوا في التسلسل اللانهائي، يضعون في هذا الطريق افتراضاتٍ متهافئة لا يجد العقلاء من القرائن ما يوحى- ولو من بعيدٍ- بوجودها أصلاً! فهذه الافتراضات ليست جواباً في حد ذاتها، وإنما هي إرجاء المطالب المعرفي، إرجاء إثبات الخالق خطوة للوراء لا أكثر: يؤجلون إثبات الخالق لخطوة واحدة دون دليل على هذا التأجيل أو هذه الخطوة!

قال ﷻ: ﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٨]. تخرُصون: أي تضعون الافتراضات من خيالكم لا أكثر! والعجيب أن الملحد يفرح بهذه الافتراضات جداً، يفرح بهذا التأجيل لإثبات الخالق ويراه حلاً ذكياً؛ لأنه ببساطة يكره ويشمئز من القول الديني بوجود الخالق ﷻ، مع أنه سيثبتته بعد قليل رُغمًا عنه وإلا لوقع في التسلسل.

وهذا يؤكد أن مشكلة هؤلاء نفسية لا علمية ولا عقلية: كما قال الله ﷻ: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الزمر: ٤٥].

إنّ التسليم لله ﷻ بالخلق والأمر هو نهاية قصة المصير الإنساني، سواءً شئنا أم أبينا، إن هذا التسليم هو الإستجابة المثيرة للقضية الإنسانية الكبرى، وإن الإسلام لم يأخذ اسمه من قوانينه ولا نظامه ولا مُحرماته، وإنما من شيء يشمل هذا كله ويسمو عليه -من حقيقة التسليم لله- إنه استسلام لله، إنه الإسلام!<sup>٧</sup>

نسأل الله أن يرزقنا الاستسلام له ﷻ في الأمر والنهي.

### الشبهة الثانية: مبررات ظهور الطاقة مع ظهور الكون رغم قانون حفظ الطاقة

الشبهة الثانية تتمثل في مبررات القول بظهور الطاقة مع ظهور الكون رغم ما يُعرف بالقانون الأول للديناميكا الحرارية، أو ما يُسمى بقانون حفظ الطاقة: "في أي نظام معزول: الطاقة لا تَفنى ولا تُستحدث من العدم" انتهى

فمن أين أتت هذه الطاقة التي ظهرت مع ظهور الكون؟

- أولاً: هذا قانون يتعلّق فقط بعمل الكون، يتعلّق بنظام سريان الطاقة داخل نظام معزول لا بأصل الكون!<sup>٨</sup>
- ثانياً: ألسنت تزعم أيها الملحد أنّ مجموع طاقة الكون يساوي الصفر؟ مجموع الطاقة السالبة والطاقة الموجبة يساوي: الصفر! إذن لم يتم خرق قانون حفظ الطاقة بأية صورة من الصور؛ لأن مجموع الطاقة أصلاً يساوي الصفر.

ولهذا يعترف الفيزيائي الملحد الشهير شون كارول Sean Carroll أن قانون حفظ الطاقة لم يتم خرقه لحظة ظهور الكون فيقول: "في بداية الكون في أول لحظة للكون لم يتم خرق قانون حفظ الطاقة؛ لأن الطاقة تساوي الصفر"<sup>٩</sup> انتهى



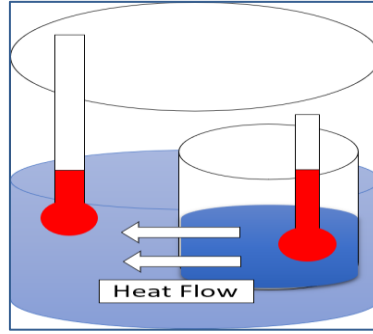
<sup>٧</sup> الإسلام بين الشرق والغرب، علي عزت بيغوفيتش، مؤسسة باقاريا للنشر والتوزيع.

<sup>٨</sup> براهين وجود الله، د. سامي عامري، الطبعة الأولى ص ٤١٦.

<sup>٩</sup> <https://www.youtube.com/watch?v=TGs4C60FR68>

- **ثالثاً:** من المعلوم تماماً أن القانون الثاني للديناميكا الحرارية يقرر أن للكون بداية، فهذا القانون حُجَّة على بداية الكون، وطبقاً لهذا القانون فإنَّ الكون يكتسب إنتروبياً Entropy مع الوقت، أي: يكتسب عشوائية أو فوضى. ويستحيل أن تقل الإنتروبيا، بل هي حتماً ستزداد مع الوقت، فأياً تغير يحدث في تحولات الطاقة لا بد وأن يصحبه ازدياد في مقدار الإنتروبيا الخاصة به.

**وللتبسيط:** لو أحضرنا كوباً من الماء الساخن، فإن الطاقة ستنقل من هذا الكوب إلى الغرفة مع الوقت حتى تتساوى حرارة الكوب مع حرارة الغرفة، ويستحيل أن يحصل العكس، يستحيل أن تزداد حرارة الكوب على حساب حرارة الغرفة، بل دوماً ستنقل الحرارة من الأعلى طاقة حرارية للأقل طاقة حرارية حتى تتساوى حرارة الجميع، لذلك الكون تزداد إنتروبيته مع الزمن حتى يصل للموت الحراري Thermal death، حين يصبح عند أعلى درجة من الإنتروبيا.



وهنا نأتي للشاهد من هذا الكلام: لو كانت الطاقة أزلية ستكون هناك إنتروبيا لانهاية، ستكون هناك عشوائية لانهاية بدأ بها الكون! فلو كانت الطاقة أزلية لولد الكون مميئاً! لكن العكس تماماً هو الحاصل: فالكون كما هو معلوم بدأ بالحد الأدنى على الإطلاق من الإنتروبيا.

وكما يقول الملحد الفيزيائي **شون كارول**: "طبقاً للقانون الثاني للديناميكا الحرارية، فإن الإنتروبيا تزداد وهذه قضية مهمة؛ لأنه في بداية ظهور الكون كانت الإنتروبيا قليلة جداً، لا أحد يعرف لماذا بدأ الكون بهذا الحد الأدنى من الإنتروبيا، هذا سؤال مفتوح في علم الكونيات؛ لماذا بدأ الكون مميزاً جداً ومنظماً جداً؟" انتهى، فالكون بدأ بالحد الأدنى من الإنتروبيا، إذن فالطاقة ليست أزلية وإلا لأصبحت الإنتروبيا أزلية، وهذا الأمر هو الذي دفع **شون كارول** ليتعجب قائلاً: "لماذا بدأ الكون مميزاً جداً ومنظماً جداً؟" انتهى

هذا تساؤل واحد من أشهر الملحدين الفيزيائيين في العالم! لكن للأسف كثير من الملاحدة مازالوا يرون أن: الكون غير مميز وغير مُنظم، وأن الطاقة أزليّة، ولا أدري من أي عصر تأتي مقولاتهم هذه!

ومن باب الإنصاف أودُّ أن أقول أنَّ شون كارول كملد حاول أن يتجاوز هذه الورطة -ورطة الحد الأدنى من الإنتروبيا- حاول أن يتجاوزها بافتراض الأكوان المتعددة، وهذه المسألة مسألة الأكوان المتعددة فصلنا فيها الجواب في الصفحات السابقة!

### الشبهة الثالثة: إثبات أزلية الطاقة بفرضية لحظة ظهور الكون

يحاول بعض الملاحدة تحليل فرضيات حول لحظة ظهور الكون محاولة منهم لإثبات أزلية الطاقة، ولكن كل هذه الفرضيات والتخمينات غيرُ صحيحة علمياً، وتعجب حين تستمتع لفيزيائي ملحد بحجم **ألكسندر فنكلن** **Alexander Vilenkin** وهو يعترف قائلاً: "لا يوجد نموذج واحد مُرضٍ لكون بلا بداية"<sup>١١</sup>



لا يوجد نموذج واحد صحيح أو فرضية واحدة صحيحة يمكن البرهنة عليها في إثبات أزلية الطاقة وبعد أن عدَّ **ألكسندر فنكلن** النماذج والفرضيات التي يضعها العلماء لتجاوز بداية الكون، اعترف بحسرة قائلاً: "سأخبركم بتعليقي: إن النتيجة التي وصلتُ إليها أنه لا يوجد نموذج من هذه النماذج صالح للعمل، لا يوجد نموذج من هذه النماذج يستطيع تجنُّب أن لهذا الكون بداية"<sup>١٢</sup>.

كل النماذج التي تحاول تجاوز بداية الكون لتثبت أزليّة الطاقة كلها نماذج فاشلة لا تعمل، ثم بدأ **فنكلن** في شرح فشل هذه النماذج: هذا اعتراف عزيز من ملحد فيزيائي حاول جاهداً عبر سنين أن يتجاوز أن للكون بداية، لكنه في الأخير يُقرُّ بالفشل والخيبة، فكل ما انتهى إليه العلم في كل النماذج الصحيحة العملية أن الكون له بداية!

ثم يأتي ملحد ليقول لك: 'هناك احتمالية علمية أن الكون يسبقه كذا أو كذا أو أننا نستطيع تجاوز بداية الكون بكذا أو بكذا!' فهم يحاولون باستمرار أن يُوهنوا قوة البرهان ببعض السفسطات والفرضيات مهما ثبت خطأها وعدم جدواها.

كان وما زال وسيبقى الإلحاد سفسة للبديهيات ببعض الافتراضات والتخيُّلات، بينما يبقى الدين هو التسليم بإلزامات هذه البديهيات!

### الشبهة الرابعة: إذا كان الله قد خلق الكون، فلماذا الكون بهذه الضخامة؟

#### شبهة أم مغالطة؟

إذا كان الله قد خلق الكون، فلماذا كل هذه الكواكب والنجوم، لماذا الكون بهذه الضخامة؟

هذه الشبهة تعتمد على مغالطة: "أنسنة الإله": حيث يجعل الملحد الإله إنساناً.

وبما أن الإنسان بطبيعته يُعاني من نقص في الموارد، وبالتالي المفترض أن يُنقِ الإنسان بأقل قدر متاح من أجل تحقيق أفضل نتيجة، فهم يتصوِّرون أن الإله كالإنسان -تعالى الله عما يفترون-؛ ولذلك يتساءلون: لماذا الكون بهذا الحجم الضخم؟

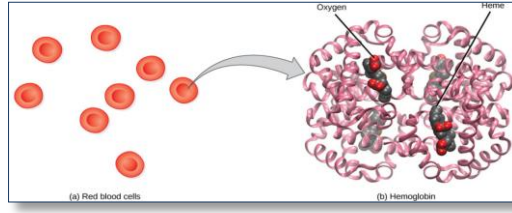
وُجيبهم: لو أن الله ﷻ خلق مليارات مليارات الأكوان مثل كوننا هل هذا يُنقص من خزائنه شيئاً؟ فالله ﷻ يخلق ما يشاء، ولا ينقص ذلك من خزائنه شيئاً؛ وفي خَلْقِهِ تدبّر عظيم قدرته وعجيب حكمته!

لكن السؤال الآن: هل لهذه الكواكب والنجوم الكثيرة فائدة لنا؟ والجواب:

- **أولاً:** نحن لسنا وحدنا في الكون، قال ربُّنا ﷻ: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٢٩]؛

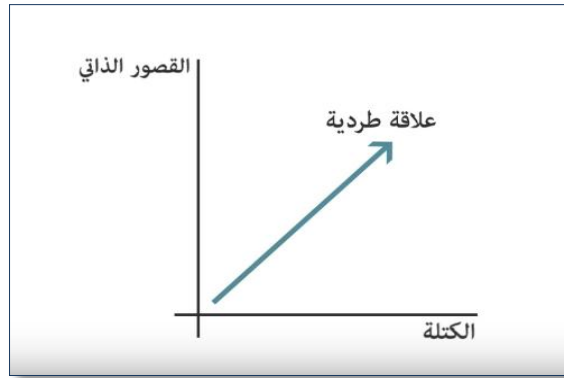
- **ثانياً:** عدم معرفتنا بفائدة شيء ما لا يعني أنه بلا فائدة، فعدم العلم ليس علماً بالعدم؛

- **ثالثاً:** نحن نعلم أن المعادن التي لا تقوم حياتنا إلا بها، هذه المعادن لم تنشأ إلا في قلب مستعرات عملاقة أو أفران نجمية ضخمة، فالمعادن كلها التي نحتاج إليها، كالحديد الذي ينقل الأوكسجين إلى رنتيك، المعادن التي بها قوام معيشتك، هذه المعادن ما نشأت إلا داخل أفران النجوم العملاقة البعيدة جداً عنا؛



- **رابعاً:** تبيّن لنا مؤخراً أنّ: القصور الذاتي أو العطالة Inertia التي نحيا في نعيمها هي نتاج كتلة الكون ككل، فما معنى: القصور الذاتي؟

لو أنك تركب سيارة وفجأةً السيارة توقفت، ما الذي يحصل؟ تندفع للأمام! أليس كذلك؟ هذه العطالة أو القصور الذاتي، لو كان القصور الذاتي في عالمنا أقلّ مما هو عليه الآن لاستطاعت أبسط نسمة هواء أن تحرك الصخور، وفي عالم كهذا نكون معرضين باستمرار لقصف كل أنواع الأشياء! ولو كانت العطالة أكبر مما هي عليه الآن لما استطعنا حتى تحريك أصابعنا.<sup>١٣</sup>



وتتوقف قوة القصور الذاتي أو العطالة على الكتلة، والأمر الذي أدهش الفيزيائيين أن كتلة مجرّة درب التبانة، المجرة التي تحتوي على مجموعتنا الشمسية، لا تشارك في ضبط العطالة إلا بنسبة ٠,١ بالمليون، بينما كتلة الأرض لا تضبط العطالة إلا بنسبة ٠,٠٠١ بالمليون.



فالعطالة المثالية التي نحيا على ثمارها، والتي من خلالها نمارس كل أنشطتنا، هي نتاج مجموع طاقة الكون ككل، ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطِيلاً ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ [ص: ٢٧]، وكلما توسّع العلم، ظهرت عجائب الحكمة ودقائق الخلق!

### تفسير حقيقة صغر حجم الإنسان مقارنة بمركز الكون العملاق



الملحد يضع افتراضاً متهاوناً فيقول: 'بما أن الكون ضخم، فالإنسان ليس مركزاً في هذا الكون'

هذا الافتراض مبنيٌّ على مقدمة: بما أن هذه المزارع شاسعة وصاحبها حجمه صغير جداً بالنسبة لها إذن: هو ليس بصاحبها! ليس الأمر بالحجم إطلاقاً، والأخلاق التي بلا حجم مادي هي المعيار الأكبر في التفاضل بين أعظم الناس وأحقر الناس، وإنقاذ طفل واحد أولى من جبال الأرض، أليس كذلك؟ فقضية الأحجام ليست معياراً!

ودعونا نضرب هذا المثال: لو أنّ عندنا ملكاً وهذا الملك أوصى لابنه ببعض الوصايا والنصائح، وكتب له في ذلك كتاباً، هل يمكن أن يأتي معترضٌ ويقول: كيف لملك يملك ملايين الأفدنة والأراضي الشاسعة التي لا حصر لها، كيف يهتمُّ بابنه الذي لا يبلغ حجمه ووزنه واحد على مليون مما يملك هذا الملك من الأراضي والأفدنة؟

ولله <sup>عز وجل</sup> المثل الأعلى!

هل هذا اعتراض معقول أصلاً؟ فالقضية ليست بالحجم ولا بالوزن، ثم أليس هذا الكون بدأ من نقطة أصغر من رأس الدبوس بمليارات المرات كما يقرر كل فيزيائي اليوم؟ إذن الحجم نسبيٌّ.



فاستغراب ضخامة الحجم أو ضآلته أو طول عمر الكون أو قصره هي محاولات لأنسنة الإله، حيث يتصوِّرون أن الإله إنسان، وبما أنَّ الإنسان من المفترض أن يُقدَّر الأشياء بحسب إنفاقه عليها، وبما أن الكون عملاق جدًّا، فالمفترض أن يكون مركز هذا الكون شيء ضخم الحجم جدًّا، حتى يوازي النفقات التي أنفقت على كون بهذا الحجم!

ما الذي يضيركم أيها الملاحدة من أن يخلق الله ﷻ ما يشاء بالكيف الذي يشاء؟ لماذا المحاولات المتكررة لأنسنة الإله؟ لكن هل نحن بالفعل مركز لهذا الكون؟

نعم أنت أيها الإنسان: مركز هذا الكون بالتكليف الإلهي، والتكليف الإلهي هو الذِّين، هو الأمانة التي حملها الإنسان، هو هذا الإختبار الأعظم الذي نحن فيه! فقط بالتكليف الإلهي تُصبح مركزًا لهذا الكون، فلا بحجمك ولا بقوتك ولا بقدراتك تصبح مركزًا لهذا الكون، وإنما من خلال التكليف الإلهي أصبحت مركزًا في هذا الكون! والتكليف لا علاقة له بالحجم؛ إذ لا يلزم أن يكون التكليف للأكبر حجمًا، بل المنطقيُّ أن يكون التكليف للكائن الذي يدرك معنى التكليف، والقادر على فعل الخير وترك الشر، الكائن القادر على الإيمان والكفر! وكلنا يعلم أنه مُكَلَّف، سواءً شئنا أم أبينا!

الملحد والمؤمن الكل يعلم أنه مُكَلَّف ويشعر بالتكليف الإلهي، ويعاني وَخز الضمير الأخلاقي، ويعرف أنَّ بداخله: افعَل ولا تفعل، افعَل الخير ولا تفعل الشرَّ، كلنا يعلم من واقع نفسه أنه مُطالب! فنحن في مركز هذا الكون تكليفيًّا! وأيضًا نحن في مركز هذا الكون إدراكيًّا ومعرفيًّا، فنحن ندرك ونعي ونعقل ونعرف حقيقة وجودنا، وحقيقة الكون من حولنا، ونفهم معنى وجودنا جيدًا؛ أيضًا نحن في مركز هذا الكون قيمةً ومعنىً، طفل صغير أولى من كل جبال العالم، ونحن في مركز هذا الكون دينيًّا، فنحن المُطالبون المآخذون المُكَلَّفون المحاسبون! ونحن الكائن المُدرك لروعة الإعداد بعناية، نحن الكائن المدرك للإتقان، نحن الكائن القادر على تنفيذ ما كُلف به أو الكفر بالتكليف، نحن نَقدر تمامًا على الإختيار، نحن نَقدر حقيقةً على الإيمان والكفر.

فنحن في مركز هذا الكون، سواءً شئنا أم أبينا! ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢].

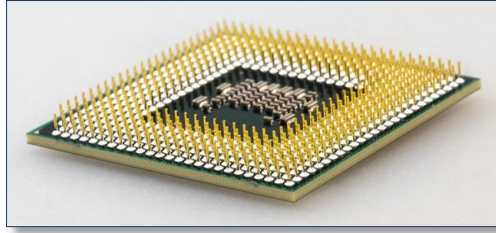
## الرد على الرد

يقول بعض الملاحدة: 'الأرض من الطبيعي أن يكون بها إتقان، فهناك كواكب كثيرة ليست فيها حياة، فوجود كوكب بهذا الإتقان كالأرض هو أمر طبيعي بالنسبة لعدد الكواكب الكبير؛ أليس كذلك؟'

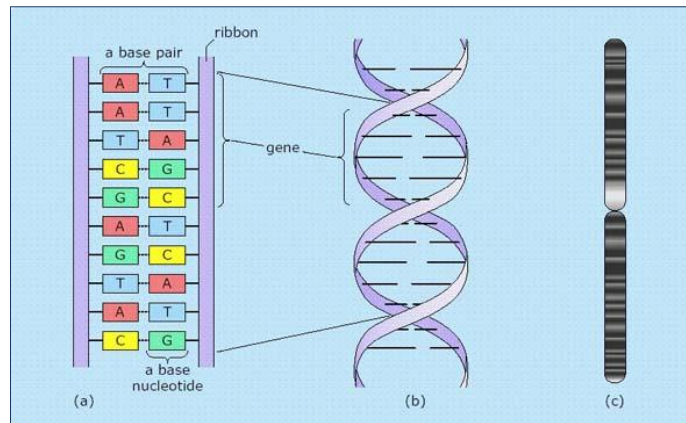
الجواب كالتالي: ما علاقة وجود كواكب كثيرة بنقد دليل الإتيان؟ القضية ليست موادَّ أولية، إذ ليس بما أنني في غابة مليئة بكافة الخضر والثمار والحيوانات، ليس معنى ذلك أن يظهر أمامي فجأة في وسط الغابة إناء طعام مطبوخ شهّي؛ فالقضية ليست موادَّ أولية!



أيضًا ليس معنى توافر الرمال في صحاري العالم، ليس معناه أبدًا أنني من الطبيعي أن أجد المعالجات الرقمية والشرائح الإلكترونية التي تُصنع من الرمال حولي في كل مكان في الصحراء!



فالقضية ليست موادَّ أولية؛ القضية صنع وإتيان Know how، ليس مجرد وجود مجموعة كواكب تكون كافية لأن يظهر بينها كوكب بهذا الإتيان كالأرض، القضية إتيان وخلق وصنع: ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٨٨]، فوجود كواكب أخرى كثيرة لا يبرر إطلاقًا وجود حياة على كوكب الأرض، ووجود كواكب أخرى لا يبرر تفسيرًا جينيًا بداخلك يضبط كل وظائفك وأعضائك وهرموناتك بضبطٍ مبهرٍ قبل أن توجد أنت بنفسك!



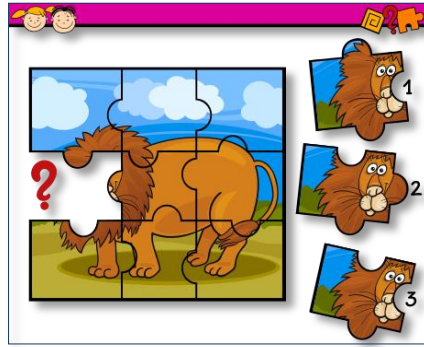
التشفير الجيني: جينات تحمل معلومات داخل كل خلية من خلاياك وخلايا كل كائن حي!

الجين: شريط طويل جداً مكتوب عليه بنظام الشفرة أو بنظام الترميز مكتوب عليه خصائص ومعلومات كل عضو من أعضاء جسدك.

فمثلاً حتى ينشأ الكبد في الجنين لا بد أن يتواجد عدد مُعيّن من الجينات، يُكتب عليها بنظام الشفرة كيفية تكوّن الكبد، ثم يتم فك هذه الشفرة فيظهر كبدك! كل عضو من أعضائك، وكل إنزيم، وكل هرمون: كلها تُشفّر داخل الجينات الخاصة بك، ويوجد في كل خلية من خلاياك ٣٠ ألف جين تشفر لكل وظائفك، فالحياة معلومة وليست بمادّة، والنظم البيولوجية في جميع الكائنات الحية هي نظم معلوماتية وليست نُظماً مادّيّة.

نعم! الحياة معلومة وليست مجرد مادّة، وعدد الحروف التي كُتبت بها جيناتك هي أربعة مليارات حرف داخل كل خلية من خلايا جسدك! فهل هذا الإعجاز يتم تبريره بأن هناك كواكب أخرى كثيرة؟

المشكلة أن الملحد يتعامل مع الكائنات الحية، ومع النظم المُبدّعة بإتقان من حوله، يتعامل معها كما يتعامل مع لعبة البازل Puzzle game، حيث يفكك الملحد مكونات الحياة والنظم المُبدّعة، يُفككها ثم يقوم بإعادة تجميعها من أماكن مختلفة، يُفكك المطلوب ثم يعيد تجميعه!



طريقة تفكير الملحد غريبة جداً: فهل وجود غابات كثيفة يبرر ظهور صينية طعام مُعدّة بعناية؟ وهل وجود كواكب كثيرة يُبرر ظهور أربعة مليارات حرف داخل كل خلية من خلاياك بمنتهى الضبط تشفر لوظائف جسدك، بحيث لو اختلّ حرف واحد منها ربما حصلت مشكلة كبيرة؟

بُرهان الإتيقان هو بُرهان عقلي حقيقي، يؤكد الخلق الإلهي والعلم والقدرة، ولا يمكن تجاوزه بهذه الخيالات الإلحادية، وإن الحاجة إلى ضرورة تبرير هذا الإتيقان، وهذا التشفير، وهذه الحياة، وهذا الكون، وهذه النظم المعلوماتية، ضرورة تبرير كل هذا بإثبات الخالق، هي حاجة عقلية ماسّة.

فلو سعدنا أنا وأحد الملحدين على أحد الكواكب واكتشفنا جهازًا مُعقدًا يعمل بضبطٍ مبهٍر، وحتى لو لم نفهم وظيفته بعد، هل يمكن إنكار الصانع لهذا الجهاز لمجرد ضخامة حجم الكوكب الذي نحن عليه؟

فروض الملحدين غريبة حقًا! البداهة العقلية تدفعنا أنا والملحد حين نرى هذا الجهاز للقول بالموجد القادر، والذي ينكر هذه البداهة العقلية الذي يُنكر الموجد هو المطالب بالدليل وليس المثبت!

الملحد في هذا الكون المبهٍر، في هذا الكون الأنيق هو المطالب بالدليل وليس المؤمن! المثبت للخالق ﷻ يتفق مع البداهة العقلية، أما المنكر للخالق ﷻ فهو معاند لهذه البداهة، وأنا صراحة أتعجب ممن يحاول أن يُسفسط برهان الإلتقان في الكون بهذه الفروض الغريبة.



إن قوام العلم التجريبي الحديث على رصد برهان الإلتقان في الكون وفي الحياة، ثم يحصد العلماء الجوائز على ما رصدوه من إلتقان! والآن دعوني أحكي لكم طرفة غريبة تُبين مدى معاندة الملحد ظاهريًا لبرهان الإلتقان، في الوقت الذي يُسلم فيه لهذا البرهان داخليًا: ذات مرة كتب الملحد اللأدرى كارل ساغان، كتب رواية اسمها "كونتاكت"، يحكي فيها عن كيف أن العلماء يبحثون عن ذكاء خارج الأرض.



وفي الرواية اكتشف العلماء سلسلة طويلة من الأرقام الأولية قادمة من الفضاء الخارجي؛ ولأن هذا التسلسل الأولي يفيد قيمة رياضية مُحددة، قيمة تدلُّ على نوع من الضبط، فكان هذا دليلًا عقليًا كافيًا ليقطع هؤلاء العلماء في الرواية بأن هذه الرسالة قادمة من حضارة أخرى تحاول التواصل معنا!

كل دراسات البحث عن ذكاء خارج الأرض [Search for Extraterrestrial Intelligence](#) ستكتفي تمامًا برصد إشارة مثل هذه لتثبت وجود حضارة أخرى تحاول التواصل معنا! الطرفة هنا أن كارل ساغان كاتب هذه الرواية هو لأدريٌّ شهيرٌ، لكن عقله يُسلم بحقيقة أن التعقيد والنظام في رسالة صغيرة هو دليل على برهان الإيجاد والإتقان!

مُجرّد سلسلة من أرقام أولية ستقطع بوجود حضارة عملاقة؛ فكيف تُنسب أيها الملحد، كيف تنسب أربعة مليارات حرف داخل كل خلية من خلايا جسدك، والتي لو اختلّ حرف واحد منها لربما حصلت كارثة، كيف تنسب كل هذا الإتقان إلى هذه المراوغات التي تفترضها؟

ليس من العقل في شيء الإحتكام إلى خيالات وسفسطات وتخمينات لمنع تفسير الظاهرة في إطارها الدلالي على الخالق ﷻ، هذا محض تحكّم لا أكثر، وتعطيل لوظيفة العقل!

قال ﷻ: ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١]، ثم دعوني

أتساءل: بأي دليل من خارجنا نحن مطالبون بالتمرد على برهان الإتقان الذي نستشعره؟ بأي دليل من خارجنا نحن مُطالبون بالتمرد على ما وقع تحت نظرنا وعقلنا ورصدنا؟

الآن الموقف انقلب: نحن الذين نُلزم الملحد بالتسليم بما ترصده الحواس من إتقان، وهو يرفض ويعاند الرصد النظري والحسي، مع أنه داعية الرؤية المادية!

الإتقان هو: حقيقة مستقرّة في هذا الكون، وفي نظم الكائنات الحية.

## الإلحاد وتضخيم الشبهات الزائف

## صناعة التناقض بزخرفة الشبهة وتضخيمها وترقيع الإستشهادات عليها

هناك جهود محمومة وإصرار عجيب على تضخيم الشبهات حول الإسلام من قِبل الملحدين، والذي يستوقفني كثيراً في هذا الأمر هو أن: كتاب الله ﷻ لو كان من عند غير الله ﷻ لأمكنهم بأيسر جهد أن يقطعوا بأنه من عند بشر، ولما احتاجوا لمعانة زخرفة الشبهة وتضخيمها، وترقيع الإستشهادات عليها؛ ليصنعوا كل هذه الضبابية، ويُشعروا متابعتهم أنها تناقض، والله ما كانوا ليحتاجوا لكل هذا!

﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْعَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، لكن لما اصطدموا بالإسلام نسوا حتى معنى الشبهة فهمُ أمام دين معصوم، دين ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]، فأصبحوا يُرَقِّعُونَ الشبهات على أمل أن تتحوّل هذه الشبهات في أذهان السُدّج إلى تناقضات حقيقية.

وفي الواقع فالتناقض بمجرد النظر إليه دون تفصيلٍ أو إسهابٍ أو تزيين كلام تقطع بأنه تناقض، فلا يحتاج التناقض إلى مدعٍ عامٍ يهاجمه، ويُثبت للناس أنه تناقض، بل مجرد عرضه كافٍ تماماً.

## مثال على التناقض من الكتاب المقدس

في (توراة بني إسرائيل) بعد أن وقع فيها التحريف، نجد هذين النصين عن شخصٍ واحدٍ، واسمه أَخْرِيَا الملك، تقول (التوراة) في النص الأول:

"وَكَانَ أَخْرِيَا ابْنَ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ سَنَةً حِينَ مَلَكَ." [سفر الملوك الثاني: إصحاح ٨: عدد ٢٦]

سفر الملوك الثاني 8

26 وكان أخزيا ابن اثنتين وعشرين سنة حين ملكه وملك سنة واحدة في اورشليم، واسم أمه عثليا بنت عمري ملك إسرائيل.

ثم تقول التوراة في النص الثاني عن أَخْرِيَا الملك أيضاً:

"كَانَ أَخْرِيَا ابْنَ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً حِينَ مَلَكَ." [سفر أخبار الأيام الثاني: إصحاح ٢٢: عدد ٢]



## سفر أخبار الأيام الثاني 22



2 كان أخزيا ابن اثنتين وأربعين سنة حين ملك، وملك سنة واحدة في أورشليم، واسم أمه عثليا بنت عمري.

مجرد النظر في هذين النصين دون تعليقٍ بكلمة واحدة يجعلك تقطع بأن أحدهما أو كلاهما غير صحيح.

لا حاجة لتضخيم كلامٍ أو إسهابٍ، فحاجة الملاحظة لتزيين الشبهة حول الإسلام، وبذل كل هذه الجهود سببه أنهم أمام دينٍ معصوم.

والغريب أن الملاحظة عندهم عاطفة خاصة تجاه الإسلام، فأغلب نقدهم موجّه للإسلام وحده، وكأنهم يُقررون أنه حائط الصد الأخير في هذا العالم، ومنتهى شبهاتهم حول الإسلام إما آثار ضعيفة لا تصحُّ، أو خطأ في فهم لغة العرب، أو عدم استيعاب لبابٍ من أبواب الحكمة الإلهية في تشريع إلهيٍّ مُعيَّن.

وهذا ما سنوضحه في هذا الباب، ويبقى القرآن إلى قيام الساعة معصومًا، ولن تستقيم لملاحدة شبهةٍ إلا بالكذب أو الوهم أو التصوُّر الخاطئ أو هذه الأمور مجتمعة، ثم يأتي الحق البين فيزهق الباطل في غمضة عين: قال ربنا ﷺ: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ١٨].

## الحكمة من وجود المتشابه والشبهات في الدين

لماذا لا يكون الدين بلا شبهات؟ أليس هذا ادعى لدخول الناس فيه بسهولة؟ هذه النوعية من الأسئلة تُبين عدم استيعاب معنى التكليف الإلهي، معنى الإختبار الإيماني، معنى الدين: فالدين يقوم على بديهية وجود نسبة متشابه، نسبة شُبّهات، ليميز الله ﷻ الخبيث من الطيب.

فوجود هذا المتشابه هو مقتضى طبيعيٌّ للتكليف الإلهي و مقتضى طبيعيٌّ للإختبار: فأنت ترى شيئاً يشتهه عليك فهمه فيضلاً من يريد الضلال بهذا الشيء، ويثبت من يريد الحق؛ لما عنده من أدلة قطعية على الإيمان.

قال ربنا ﷺ: ﴿وَلَيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٣١]، أي ماذا أراد الله ﷻ بهذا الشيء الذي يخفى علينا؟ فينزّل إيمان من يريد الضلال، ويتأكد الإيمان في قلوب آخرين، والله ﷻ الحكمة البالغة في كل هذا.

وقال ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ

كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفٰلسِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٦]، فأما

الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ: يفهمون مراد الله ﷻ من كلامه، وما لم يفهموه يَكِلُون علمه وحكمته إلى الله ﷻ، وهذا موقف المؤمن.

وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا: أما من يريد الكفر فإنه يعترض ويقول: ماذا أَرَادَ اللهُ ﷻ بهذا مثلاً؟ فيزداد كفرًا إلى كفره

يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا: فمن البديهي أن تجد الشبهات في دين الله ﷻ حتى يتبَعَهَا مَنْ يَرِيدُ الكفر، فقد شاء اللهُ ﷻ بحكمته أن يكون هناك إيمان وكفر: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [التغابن: ٢]، والآن اقرأ هذه الآية العجيبة وتدبّر: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ [آل عمران: ٧] فهناك مُحْكَمٌ، وهناك مُتَشَابِهٌ:

١. آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ: المُحْكَم هو أدلّة الدين، وأدلة صحة الرسالة، والأمور القطعية الثابتة، فهذه كلها مُحْكَمَات، وَهِنَّ أُمُّ الْكِتَابِ؛

٢. وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ: المتشابه هو ما استغلق فهمه، أو خفيت حكمته على بعض الناس أو كلهم.

فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ زَيْغٌ: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ [آل عمران: ٧]، فالذي في قلبه زَيْغٌ أو مرض سيتبع هذا المتشابه، أي سيتبع الشبهات، ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ، أي ابتغاء الكفر.

### أصناف المتبَعِينَ للمتشابه

- قلوب غايتها الكفر والثبات على الضلال: هناك أناسٌ يبتغون الكفر فعليًا، يبتغون الدنيا ولو على حساب الآخرة، قد غلبت أهواؤهم عقولهم، فأمثال هؤلاء يبحثون عن مزيد شبهات حتى يطمئنوا لما هم عليه من ضلال، فيعاقرون الأهواء، وقد خدروا ضمائرهم وفطروهم؛
- قلوب تهوى الظهور والوجاهة: فهناك منهم من يجد وجاهته وتميُّزه في تبني أفكارٍ شاذةٍ ولو كانت كفرًا وإلحادًا، فبهذا يُشار إليه بين أقرانه وبهذا يُعد وجيهاً بينهم في نظره، فمثل هذا أيضًا يتبنى الشبهات ويثيرها بين أقرانه؛
- قلوب أهلكتها الكبر: وهناك من تغرَّه معارفٌ علمية مادية؛ فيشعر بزهو نفسه إذا ضبط معادلة رياضية أو درس علمًا يندُّ به بين الناس، فيدخله عجب نفسه، وكبُرُ تحصيله؛ فيستعلي على الانقياد لشرع ربه،



ويرغب عما خفيت حكمته من دين الله ﷻ، فيكذب ببعض شرع الله ﷻ، ويتبع هوى نفسه: قال ربنا ﷻ:

﴿إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ﴾ [غافر: ٥٦]؛

- قلوب متمردة باطلا: وهناك من يكفر ويرتد عن دين ربه ﷻ كنوع من أنواع التمرد الإجتماعي على أوضاع معينة، أو ربما حصل له أمر ما كمشكلة نفسية أو ضيق، فجعل تنفيس كل هذا بالكفر بالدين، والردة عن الإسلام، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

وهناك من يكفر ويرتد عن دين ربه ﷻ لأسباب أخرى كثيرة، فأمثال هؤلاء جميعا يبتغون الكفر حرفياً، ويطمنون للشبهة، ولا يرغبون في الانتقال عنها للمحكم، وهؤلاء جميعاً عليهم أن يُبشروا فسيجدوا من المتشابه ما يجعلهم يطمنون لكفرهم: قال فيهم الله ﷻ: ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ﴿٩﴾ فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ [الليل: ٨-١٠]، وقال فيهم ﷻ: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الصف: ٥]، فمن أراد المتشابه فليطمئن: سيجده!

### أنواع المتشابه

المتشابه على نوعين:

- متشابه في الدين: فقد ترى في الدين ما لا تفهمه؛ فتتولد عند من يريد الضلال الفتنة؛
- متشابه في الآيات المشاهدة (كالسما والارض، وخلق الناس والحيوان): وقد ترى المتشابه في الآيات المشاهدة، فإذا نظرت إلى السماء، ونظرت إلى ما فيها من إقنانٍ مُحكمٍ بديعٍ قد ترى فيها أموراً متشابهةً، مثل: لماذا كل هذه النجوم؟ وما الفائدة منها؟ وسنأتي إن شاء الله ﷻ لجواب كل هذا، وإذا نظرت للإنسان قد تجد فيه المرض والأذى والبلاء، فكلُّ هذا متشابه يستغل على البعض إدراكُ حكمته، فيفتن ويضلُّ من يريد الضلال.

أما المؤمن الذي يقاوم حظَّ نفسه، ويقاوم الكبر والغرور، ويؤمن بالقدر، فهذا تطمئنُ نفسه للمحكم في الشرع والدين، والمحكم في الآيات المشاهدة.

فعندما يتدبَّر المؤمنُ المحكم فإنه يبصر حكمة الله ﷻ، ورحمة الله ﷻ، وعظمة الله ﷻ؛ فيخبت لربه ﷻ ويقول في المتشابه الذي لم يعرف حكمته بعد: ﴿وَالرَّسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ٧].

فالذي يريد الدار الآخرة يُبصر الأمور على حقيقتها، فيشهد المحكمات، ويتدبر اليقينيات والبراهين، ويتفهم البلاء، ويتفهم كل ما خفيت حكمته على أنه في إطار التكليف والتمحيص والإختبار، والمُحكَمات واليقينيات والبراهين على صحة الحق وصحة الدين هي أم الكتاب، أي: الأصل والأعم الأغلب، والمتشابه قليل ويكون في **الفروع: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾** [آل عمران: ٧].

إذن خلاصة ما سبق: الإسلام وهو دين الأنبياء جميعاً ﷺ فيه: محكمات هن أم الكتاب، وفيه شيء يسير من المتشابهات، والمحكمات والمتشابهات كلها من عند الله ﷻ وكلها حق: **﴿كُلُّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾** [آل عمران: ٧].

### تعامل المؤمن مع المتشابه

المتشابه كما قلتُ يحتمل أوجهًا من التأويل، فقد يستخدمه من يريد الكفر ويؤوله على هواه حتى يبرر به كفره، يقول ابن الوزير اليماني: "فسبب الشك والكفر هو النظر في المتشابهات، التي لم يحط البشر بها علمًا، ولا عرفوا تأويلها" انتهى<sup>٤</sup>، فما اشتبه على الناس فهمه اتبعه من يريد الضلال، وفسره على هواه وترك المُحكَم، أما المؤمن فموقفه مع المتشابه هو أن:

• يُسَلِّمُ بأنَّه من عند الله ﷻ؛

• يُحيل المتشابه إلى المحكم.

لكن: ما معنى إحالة المتشابه إلى المحكم؟

إحالة المتشابه إلى المحكم تعني: إحالة ما لم يفهم معناه إلى ما يفهمه، ودعونا نعطي أمثلة على ذلك من الشرع والدين.

### أمثلة لإحالة المتشابه إلى المحكم

#### المثال الأول من القرآن الكريم

يقول الله ﷻ: **﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّالِحِينَ وَالصَّالِحِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾** [البقرة: ٦٢]، فهذا النص متشابه: فأهل الكتاب والصابئون لو آمنوا بالله ﷻ وعملوا صالحًا لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، لكن بعد بعثة محمد ﷺ هل يلزمهم الإيمان بنبوة محمد أم يكفيهم

١٤ العواصم - ابن الوزير اليماني (٢١٤/١)

الإيمان بأنبيائهم ﷺ فقط؟ الآية لم توضح جواب هذه النقطة، فقد ذكرت الآية فقط أنهم لو آمنوا وعملوا صالحًا فلا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون، إذن هنا يشتبه الأمر، فماذا يفعل المؤمن؟ يقوم المؤمن ببساطة بإحالة هذا المتشابه إلى المحكم، وما هو المحكم في هذا الأمر؟ المحكم هو قول الله ﷻ: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، إذن مقصود الآية الأولى أنه بعد بعثة النبي محمد ﷺ لن يُقبل إيمان بشرٍ إذا لم يؤمن بنبوة محمد ﷺ.

وبالتالي فعندما نقوم بإحالة المتشابه في الآية الأولى إلى المحكم في الآية الثانية، ينتهي الإشكال، ويتحوّل المتشابه إلى محكم، ونفهم أن مقصود الآية الأولى أن إيمان أهل الكتاب الذي يجعلهم من أهل النجاة ممن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، هو الإيمان بمحمد بن عبد الله ﷺ وقبل بعثته ﷺ فلا يلزمهم إلا الإيمان بأنبيائهم، وبهذا ينتهي الإشكال بإحالة المتشابه إلى المحكم، ويصبح القرآن كله محكمًا.

لكن هنا يأتي أهل الزيغ والأهواء فيجعلون المتشابه هو الأصل، ويتجاهلون المحكم الذي يقضي بضرورة إيمان الناس بنبوة محمد بن عبد الله ﷺ، فلا يتبع أهل الزيغ هؤلاء إلا المتشابه، فيقررون أن أهل الكتاب لا يلزمهم الإيمان بالنبي محمد ﷺ، وهذا القول كفرٌ صريحٌ لا يختلف فيه مسلمان.

فهذا منهج أهل الأهواء والإلحاد في كل زمان أنهم: يكتفون بالمتشابه، ويتركون المحكم القطعي.

## المثال الثاني من القرآن الكريم

في قول الله ﷻ: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا﴾ [الكهف: ٨٦]

هنا ذو القرنين وجد الشمس تغرب في عين حمئة: وجدها هو، أي: في عينه، لكن قد يقول قائل: 'الشمس تدخل داخل عينه حمئة حقيقةً وقت غروبها، فما هو الردُّ على هذه الشبهة؟'

إذا نظرنا إلى المحكم عرفنا الجواب: فالمحكم يقول لنا: إنَّ الشمس تجري في فلكٍ بلا توقُّف: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٣]، إذن فيإحالة المتشابه إلى المحكم يُصبح كلُّ شيءٍ محكمًا، وبالتالي فما اشتبه فهمه، إذا تمَّت إحالته إلى المحكم زال الإشكال مباشرةً.

لكن مَنْ أراد الزيغ والضلال فإنه يتجاهل المحكم، ولا يتبع إلا المتشابه، ويبدأ في تفسير المتشابه على هواه، فيضلُّ ويزيغُ ويُفْتَن، فيُفسر غروب الشمس أنها تغرب في عين حمئة، فيتخذ ذلك ذريعةً لإظهار الشبهة في دين الله.

وهنا نرى معنى الإختبار والتكليف جليين: فهناك مَنْ يلتزم بالفهم الصحيح ويُحيل المتشابه إلى المحكم، وهناك مَنْ يتجاهل المحكم، ويفهم المتشابه على هواه؛ لتظل عنده الشبهة، وللإنسان أن يختار ما شاء من إيمانٍ وكفرٍ: فمَنْ أراد الإيمان سيرى البراهين القطعية على صحة الدين ﴿أُمُّ الْكِتَابِ﴾، وسيقوم بإحالة المتشابه إلى المحكم، ومَنْ أراد الكفر فسيتبع المتشابه ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ﴾ ويتجاهل المحكم، فالأمر سهل، والإيمان والكفر موجودان إلى يوم القيامة.

### الفرق بين نظرتي المؤمن والكافر تجاه المحكم والمتشابه

- إنَّ نظرة المؤمن هي النظرة الأحكم والأشمل والأعمق للمحكم والمتشابه، فعندما ينظرُ في الآيات المشاهدة كالإنسان، فإنه يرى الآيات المحكمات في خلقه، فهناك آياتٌ باهراتٌ في كل خلية وعضو ووظيفة وحركة، وهناك أربعة مليارات حرف بضبط مبهر داخل نواة كل خلية، فهذه كلها محكماتٌ يزداد المؤمن بها يقينًا.

وحين يذهب المؤمن للنظر في المتشابه في خلق الإنسان كالمرض والبلاء والتشوُّه، فإنه هنا يُحيل هذا المتشابه إلى المحكم، فيقول: إنَّ الذي خلق الآيات الباهرات في جسد الإنسان بهذا الإتقان، فمن الطبيعي أنه قدَّر المرض والبلاء لحكمة واختبار: ﴿وَنَبَلُوكُمْ بِالْأَشْرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥]؛

- بينما في الجهة المقابلة لا يرى الملحد إلا المتشابه، ودائمًا يتعلَّل بحجة الشر والبلاء، ويتغافل عن المحكم والذي هو الأعمُّ الأغلب.

فهذا هو جوهر الفرق بين موقف المؤمن والملحد، فالمؤمن يقول: كلُّ شيءٍ محكمٌ، وبالتالي لا يقع فيه متشابه إلا لغاية، أما الملحد فلا يتبع إلا المتشابه، ويتجاهل تمامًا الأصل وهو المحكم: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الأعراف: ١٧٩]، فهنا نظرة المؤمن أحكمٌ وأصلحٌ وأشملٌ وأعلمٌ.

يقول ابن القيم رحمه الله في شرح كيفية إحالة المتشابه إلى المحكم: "ما حكمة هذا النبات المبتوث في الصحاري التي لا أنيس بها ولا ساكن؟... وهذا مقدار عقلك، ونهاية علمك، فكم لباريه وخالقه فيه من حكمة وأية من طعام لو حش وطير ودواب لا تراها تحت الأرض وفوقها" انتهى<sup>١٥</sup>

ويقول ابن الجوزي رحمه الله المعنى نفسه: "عرفت بالبرهان أنه حكيم، وأنا أعجز عن إدراك علل حكمته، فأسلم على رغمي، مقرًا بعجزني" انتهى<sup>١٦</sup>، فما ظهر المتشابه في كون محكم إلا لحكمة.

يقول ديكارت في كتابه (التأملات): "ليس لدي أدنى سبب يجعلني أتدبر من أن الله لم يمنحني قدرة أعظم على الفهم، من الطبيعي أن تظلل هناك أشياء غير مفهومة بالنسبة لفهمي المحدود، و عوضًا عن التمرد يتوجب علي أن أشكر ربي أنه لم يجعلني مدينًا له بقدر كرمه علي" انتهى<sup>١٧</sup>

فبدلًا من الخوض في المتشابه، تدكر المحكم والنعم التي لا تُحصى، تخيل لو أنك مدين لله بقدر نعمه عليك، تخيل لو أنك مدين لله بقدر المحكمات التي امتن عليك بها، فوالله لو قضيت عمرك في سجدة ما وفيت حق نعمه من نعمه عليك.

إنز فالمحكم موجود، والمتشابه موجود: فسنة الله في خلقه التكليف، وسنته في التكليف خفاء بعض الحكمة، والفائز من استدلال بما يعلم على ما خفي ودق، أي: استدلال بالمحكم على المتشابه، والخاسر من جعل مما يجهل، أي: جعل من المتشابه حجابًا يحرمه من الاستدلال بما يعلم من المحكم.

فكل آيات الله في القرآن وفي الكون محكمة، وما تشابه بعضها إلا لقلّة علمنا، وعدم إحاطتنا بكل المحكم.

### سبب غياب دليل يحسم الجدل بين الإيمان والإلحاد، ويقضي على كل الشبهات

قد يتساءل أحدهم: 'لماذا مثلًا لا نرى الله، وبالتالي ينقطع الإلحاد؟ لماذا لا نجد الرسالة الإلهية صوتًا وصورًا بحيث ينقطع لسان كل مُشكك؟'

إنّ الجواب صار مفهومًا لمن قرأ ما سبق بتأمّل وتأنّ، فالأدلة المحكمة على صحة الدين هي كالشمس، بل هي أجلى ظهورًا من الشمس في قلب كل مؤمن، لكن لا بد من وجود متشابه وإلا لما كان تكليفًا، فالمحكمات والبراهين والبصائر والأدلة على صحة الدين هي كالشمس، لكنها تُستفاد بالنظر والبحث والتأمّل والتفكير.

<sup>١٥</sup> مفتاح دار السعادة - ابن القيم (٦٤٩-٢)

<sup>١٦</sup> صيد الخاطر- ابن الجوزي (٧٩)

<sup>١٧</sup> Descartes, R., Meditations and Other Metaphysical Writings, p.49.

أما الدليل المباشر الاضطراري كرؤية الخالق تعالى بحيث ترى الله أمامك في الدنيا، فهذا ليس مقصود الإيمان الذي يترتب عليه الثواب والعقاب، هذا سيكون نوعاً من الإيمان الاضطراري، فأنت حينها ستضطرُّ للإيمان بدون تفكُّر ولا نظر: إذ كيف تكفر بوجود خالقك لو رأيتَه؟ فهذا النوع من الإيمان الاضطراري لا يتعلَّق به عملٌ عقليٌّ، وبالتالي لا يترتب عليه ثواب ولا عقاب، فالإيمان الاضطراري كـرؤية الخالق هو إيمانٌ ليس فيه تكليف ولا اختبار ولا نظر، وهذا النوع من الإيمان ليس هو غاية التكليف، ولا معنى التكليف، وليس إيماناً أصلاً.

ولذلك لما طلب كفار مكة هذا النوع من الأدلة التي تنقل من إيمان التفكُّر والنظر إلى إيمان الاضطرار أجابهم الله بأن هذا النوع من الأدلة يُقضى معه الأمر وتنتهي الدنيا بقوله ﷺ: **﴿وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا مَلَكًا لَفُضِيَ الْأَمْرُ لَنَا لَا يُنظَرُونَ﴾** [الأنعام: ٨]، فلو نزل الملك لانتهى الأمر، فأين التكليف بعد نزول الملك؟

ولذلك قال الله ﷻ في الآية التالية مباشرة: **﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ﴾** [الأنعام: ٩].

فلو فرض أنهم أُجيبوا لطلبهم وجاءتهم معجزة بهذه الصورة الفاطعة، فلا بد أن تكون معجزة حمالة أوجه، فتلبس بقدر ما على من يريد الكفر، حتى يظل التكليف قائماً، قال ربنا ﷻ: **﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ﴾** [الأنعام: ٩]، لو جاء الملك سيأتي في صورة رجلٍ، فيلتبس عليهم ويقولوا: سحرنا محمد، فاشتباه البرهان بقدر ما هو أمر طبيعي ليكون هناك إيمان وكفر، ولذلك فمعجزات الأنبياء لو تدبرتها لوجدت أنه ليس فيها الإيمان الاضطراري، فالكافر قد يتعلَّل بأي متشابه ولو كان سخيلاً حتى يبقى على كفره، **﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ﴾**: سيكون هناك مبرر ولو واهياً للمتشابه.

ومثال ذلك: لما طلب كفار قريش من النبي ﷺ شقَّ القمر، وانشقَّ أمامهم ماذا قالوا؟ قالوا: سحرنا محمد<sup>١٨</sup>، فالمعجزات والآيات الباهرات ستبقى تحتمل في ذهن من يريد الضلال شبهةً ولو واهياً: **﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾** [القمر: ٢]، فمن ليس مقصوده اتباع الحق والهدى، وليس مقصوده إلا اتباع الهوى سيُلَبِّس الحق لبوس الباطل ولهذا قال الله ﷻ: **﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾** [القصص: ٥٠]

فلو أرادوا الحق لسلموا لما رأوا من محكمات وبراهين وآيات، لكنهم للأسف يتبعون أهواءهم كما قال الله ﷻ: **﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَبَهتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ**

<sup>١٨</sup> صحيح الترمذي، ح: ٣٢٨٩.

**لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ** [البقرة: ١١٨]، فقد بيّن الله ﷻ آياته للموقنين، وسوف تبقى براهين صحة الدين ظاهرة لمن كانوا مع أنفسهم صادقين.

وأصل الإيمان هو إيمان بالغيب: قال ربنا ﷻ: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٣]، لكنّ هذا الإيمان بالغيب يستند على أدلة عقلية، وبراهين فطرية، ودلائل يقينية وسمعية قطعية على صحة النبوة.

والمؤمن يُعمل عقله وينظر في الدلائل، ويحيل المتشابه إلى المحكم، وبهذا يكون متبصرًا بيقين لا تهزُّه شبهة، ويصبح عابدًا لربه تعالى حقّ العبودية، فيعرفه حقّ المعرفة، ويُسلم له في أمره ونهيه، ويعلم أنّ الله تعالى لا ربّ سواه، خلقنا وكلفنا وأمرنا بما فيه صلاحنا، ونهانا بحكمته عما فيه هلاكنا، فهو تعالى مالك كل شيء، خلق كل شيء فقدره تقديرًا، وهذا هو إيمان المؤمنين الصادقين الذين يزدادون إيمانًا مع كل آية من الآيات المتلوة أو المنظورة، المحكمة أو المتشابهة.

**﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤-١٢٥].**

### مدى قدرة الشبهات على دفع المؤمن إلى الردّة عن الإسلام

لا يمكن لشبهاتٍ مهما تضحّمت في عقل مسلم أن تُؤلّد كفرًا: نعم قد تُؤلّد قلقًا عند غير الناظر في النصوص، وقد تُؤلّد أزمة نفسية عند الجاهل الذي لا يعرف الردّ على الشبهة، وقد تُؤلّد بُعدًا عن الدين، وإهمالًا لبعض الطاعات، نعم الشبهة قد تفعل كلّ هذا؛ لضحالة العلم الشرعي عند المفتون بالشبهة، ولقلة دينه، إما أن تُؤلّد كفرًا بذاتها فهذا لا يمكن!

قال ربنا ﷻ: **﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾** [القصص: ٥٠]، أي إن لم يستجيبوا لك فالمشكلة في تعلّقهم بالأهواء، لا في شبّهاتهم أو في قصور أدلتك: فالشخص الطبيعي الذي يريد الحق والنجاة إذا أنته شبّهات مهما عظمت لقلّة علمه، فإنّه لا يمكن أن يترك الدين التوحيدي الأوحد -الإسلام-، لا يمكن أن يترك هذا الدين المتفق مع فطرته؛ لأنه ليس هناك حقٌّ آخر أصلًا ليذهب إليه، فليس على الأرض وليس عند البشر إلا شركيات الأولين، وجنون الإلحاد، وتوحيد الإسلام، ليس عند البشر خيارٌ رابع.

قال الله ﷻ: **﴿قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾** [القصص: ٤٩]، فليس إلا الإسلام، فكيف يدعُ الإنسان؟ أما الشبهات فأمرها يسير، وبحثٌ هاديٌّ لن يبقى لها أثر، فلن يكفر إنسان برب العالمين،

وبنييه الأمين ﷺ، ويكفر بفطرته وبضرورات عقله، بحجة أن عنده شبهة في مسألة ما في أحد الأبواب، هذا لا يُتصوّر.

فالتسليم لله الخالق الرازق المنفرد بالملك والسلطان على جميع ما في الوجود، هذا أصل الفطرة، وعنوان الضرورة العقلية، بل هو أصل كل ضرورة، فأعرّف المعارف: التسليم لله، ومن غير الله استحيل المعرفة أصلاً، فهل يكفر إنسان بكل هذا لمجرد أن شبهة لا يعرف لها جواباً؟

﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَلِيَّ اللَّهِ شَكُّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠]، أي كيف يُكفر بالإسلام، ولا يكون التسليم لله والخضوع التام والإذعان الكامل لرب العالمين إلا في هذا الدين الإسلام، وهو دين محمد بن عبد الله ﷺ، ودين الأنبياء جميعاً، وهو الدين التوحيدي الذي لم يبق على وجه الأرض على التوحيد غيره، فالإسلام هو الفطرة الإنسانية، فهل يُعقل أن يُترك هذا الدين، ويرتد الإنسان لمجرد أن شيئاً يخفى عليه فهمه في مسألة من المسائل؟ فأنّى تصرفون؟ أين تذهبون بعد الإسلام؟

﴿فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ [يونس: ٣٢]، أي ماذا يتبقى لهم بعد الإسلام؟ هل سيؤمنون بشركيات مثلاً؟ أم سيؤمنون بجنون الإلحاد؟ فتخيّل:

• كيف لإنسان أن يلحد، فينكر الضرورات العقلية كضرورة السببية، ويؤمن بأن هذا العالم بكل نواميسه وبكل حدوده الحرجة ظهر فجأة بلا خالق؟ كما خبر الله ﷻ عنهم في القرآن الكريم بقوله: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ ٣٥ أَمْ خُلِقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الطور: ٣٥-٣٦]؛

• كيف لإنسان أن ينكر ضرورة الإتيان في كل شيء؟ الإتيان في جسده، وفي طعامه، وفي شرابه، وفي السماء والأرض، وفي كل ما حوله: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ [عبس: ٢٤]، ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ [الطارق: ٥]، ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ﴾ ٥٠ ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢٠-٢١]، فكيف ينكر إنسان ما لا حصر له من براهين الإتيان؟

تخيّل مصنّعاً فيه ألف عامل يعملون منذ عشرات السنوات بمنتهى الإتيان، وهذا المصنع ليس له من يديره أو يقوده أو يدبر أمره، بل هو في حقيقة الأمر ظهر فجأة هل تتخيّل أمراً كهذا؟ فكيف تتصوّر مصنّعاً عملاقاً بحجم



الكون يظهر فجأةً، ثم يعمل بحدود حرجة، وضبط مبهر منذ مليارات السنوات بلا مدبر ولا قيوم، بل وبلا موجد له من البداية، هل هذا يعقله عاقل؟

أنت تعلم بفطرتك أن لهذا العالم مدبرًا خالقًا قديرًا، وتعلم بفطرتك أنك مُكَلَّف؛ إذ يجب عليك أن تلتزم بقيم أخلاقية، وهذا ليس إلزامًا خارجيًا فحسب، بل هو إلزام داخلي أيضًا، فتُقر بأنه من الأفضل أن تكون صادقًا أمينًا حتى ولو لم تكن كذلك، وأنت دائماً تعاني من وخز الضمير الأخلاقي، ثم قبل هذا أنت تُقر بأن هناك شعورًا فطريًا داخليًا بضرورة شكر مَنْ خلقك ورزقك وتلجأ إليه في حاجتك وضيقك، فأنت تعلم بفطرتك وقت الاضطرار والكرب أنه لن ينجيك إلا خالقك، فبضميرك الفطري تعلم كلَّ هذا من نفسك، وكل البشر على هذه الفطرة التكليفية، فكلنا مكلفون؛ سواءً شئنا أم أبينا.

وليس هناك إنسان يؤمن في قرارة نفسه أنه ابنٌ لهذه الطبيعة، يؤمن أنه حيوان، حتى ولو كان يدافع عن المادية بكل شراسة، لكنه ككل البشر يتصرّف وقت الجد على أنه مخلوق لله، وعلى أن هناك قيمًا أخلاقية مُطلقة، وكرامة إنسانية، فالكل يتصرف بناءً على هذا، بل ويتحاكم لهذه القيم الأخلاقية المطلقة، فيستطيع الإنسان أن يُصدر الأحكام الأخلاقية على الأفعال البشرية بكل سهولة ويقين، فيصف السرقة أنها جريمة، ويصف تقديم يد المساعدة للمحتاج أنها خير، فهذه قيم أخلاقية مطلقة فطرية تكليفية، لا ينكرها إنسان ولا يستطيع حتى الملحد أن يُعاندَها.

فالجميع مفطور على أنه مخلوق لله مُكَلَّف، وليس على أنه حيوان، فنحن مفطورون على معانٍ مغايرة للإلحاد تمامًا، فهل تُترك كلُّ هذه الضرورات الفطرية والعقلية من أجل شبهة لم يفهمها إنسان؟

لا والله، فليست الشبهة مبررًا للكفر إطلاقًا، وإنما المبرر الوحيد للإلحاد والكفر برب العالمين هو الهوى! هو رغبة الكفر! وإنما تُستخدم الشبهات كغطاء وحُجة لا أكثر، فلو قارنت بين الشبهات التي يثيرها الملاحدة وبين البراهين التي لا حصر لها على النبوة، ودلائل صدق الرسالة، ستعرف مقدار جنون الموقف الإلحادي، فكيف يترك عاقلٌ رسالةً إلهيةً متفقة مع فطرته، ومتفقة مع حاجته؟

فكلُّنا يحتاج هذه الرسالة أعظم من حاجته لكل شيء، فالرسالة الإلهية توضح لك: لماذا أنت هنا، توضح لك: لماذا يجب أن تفعل الخير، توضح لك: مصدر فطرتك الأخلاقية، وفطرتك الدينية، وتُعرفك بما يلزمك من العبودية لله ﷻ، وهذه الرسالة الإلهية مؤيَّدة بما لا حصر له من البراهين.

انظر في القرآن والسنة الصحيحة: كم من معجزة وآية دالة على صحة الرسالة، وتدبر كم من حدث لا يقع إلا على يد نبي، جرى على يده ﷺ، فلو كنت منصفًا أسلمت بنبوته ﷺ، وبحثت عن جواب شبهتك، ف قضية الكفر ليست بشبهات أبدًا.

بل العجيب أن أصل كل الشبهات في الإسلام ليس منها تناقض مثلًا في دين الله، فهذا محال، ولم يستطع ملحد على شدة حرصهم على تكذيب القرآن، وإنما منتهى الشبهات التي تُثار، والتي تُعقد فيها المناظرات هي تقديم لهوى عقلي على حكم شرعي في مسألة، هذا منتهى شبهات البشر في دين الله.

فشبهاتهم مجرد اعتراض على بعض الأحكام الشرعية لهوى يراه طارح الشبهة، كهوى التحسين والتقيح العقلين: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ﴾ [غافر: ٥٦]، فهذا منتهى ما عندهم: كبر النفس.

يقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي ءَامِنًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [فصلت: ٤٠]، أي اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير: فالله يعلم أنهم ما ارتدوا إلا لهوى قلوبهم.

فمنتهى الشبهات هو تغليب لتصوّر ذهني معين على نص شرعي، فهذا منتهى الشبهات في الإسلام، وكل مرتد يعلم ذلك من نفسه: ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ [القيامة: ١٤]، فكل إنسان على نفسه بصيره، حيث يعلم في قرارة نفسه السبب الحقيقي لكفره وردته، فالمرتد لم يؤت من قبل الشبهات، وإنما أوتي من قبل خفة عقله، وهوى نفسه، وتقديمها على شرع ربه، فدين الله كامل ليس فيه تناقض واحد: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْعَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

وبراهين صحة الرسالة قطعية، وهي براهين قائمة على أصول معرفية وفطرية، وضرورات عقلية، وليست الشبهات في الإسلام إلا لتغليب هوى على نص شرعي، ولست تحتاج لأكثر من تجرّد وبحث يسيرين؛ لتفهم الرد على الشبهة، ويختفى كل إشكالٍ مُتوهم، ولذلك لم ينشغل السلف بالرد على الشبهات كما ننشغل نحن!

تخيّل أن الصحابة تركوا نشر الإسلام في العالم، وانشغلوا بالرد على كل شاردة وواردة في دين الله، وخاضوا في جدل لا ينتهي مع كل مسفسط متكبر على رب العالمين، واهتموا بتفريع كل حكم شرعي؛ ليرضوا كل متفلسف.

هل تتخيّل أنهم كانوا سيجدون الوقت لنشر الدعوة، وإيصال الإسلام للعالم؟ الناس لا يحتاجون إلى كل هذا! الناس لا يحتاجون إلى تفنيد كل شاردة وواردة، الناس يحتاجون في واقع الأمر للحق، وسيتولّد لديهم دفع ذاتي لكل شبهة، ولأي شبهة، بينما المسفستون في الجهة الثانية لو أتيتهم بكل آية وجدل وتفنيد لن ينتهوا من جدلهم؛ لأنهم يريدون اتباع ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٤]، فالقرآن فيه جواب كل إشكال، وفيه ردُّ كل متشابه إلى محكمه، لكنّ مبتغي الجدل لن تظفر منه بإعلان انكسار لشرع رب العالمين، سيبقى مسفستًا إلى ما شاء الله.

إنّ فالشبهات بذاتها لم تكن ولن تكون مُشكِلَةً، ولم تكن ولن تكون مبررًا للكفر أو للإلحاد، وما الرّدُّ على الشبهات الذي يقوم به الأفاضل من أهل العلم إلا لطمأنة من أراد الحق، وكبت من أراد نشر الباطل، ولإلزام كل من تعلّل على ضلاله بشبهة.

### فالمشكلة الجوهرية في ملف الردّة عن دين الله هي فقط في هوى النفس!

إنّ أكبر دعائم الإلحاد على الإطلاق هو: الهوى، فمصدر الكفر عند بني آدم هو في الهوى الذي يؤدي للكذب على الله ﷻ: ﴿بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٠]، فأمر الهوى خطير؛ ولذلك قال الله ﷻ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠]، وقال ﷻ: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨]، وقال عزّ من قائل ﷻ: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص: ٢٦].

وقال النبي ﷺ: (إنما أخشى عليكم شهواتِ العَيِّ في بطونكم وفروجكم، ومضلاتِ الهوى)<sup>١٩</sup>، فالذي يضعف لهواه يُفتن مع الوقت فيهلك؛ ولذلك قال النبي ﷻ: (ثَلَاثُ مُهْلِكَاتٍ، ...، فَأَمَّا الْمُهْلِكَاتُ: فَسُخُّ مُطَاعٍ، وَهُوَ مُتَّبَعٌ، وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ)<sup>٢٠</sup>

ولذلك كان أفضل الجهاد أن يجاهد الرجل نفسه وهواه، كما قال النبي ﷻ: (أفضلُ الجهادِ أن يجاهدَ الرَّجُلُ نَفْسَهُ وهواه)<sup>٢١</sup>، فالهوى أمره خطير، وهو الذي يُمهد للشبهات طريقًا إلى القلب.

<sup>١٩</sup> الراوي: أبو برزة الأسلمي نضلة بن عبيد | المحدث: الألباني | المصدر: صحيح الترغيب: الصفحة أو الرقم: ٢١٤٣ | خلاصة حكم المحدث: صحيح ب، ٥٢  
<sup>٢٠</sup> الراوي: عبدالله بن عمر | المحدث: الألباني | المصدر: صحيح الترغيب: الصفحة أو الرقم: ٢٦٠٧ | خلاصة حكم المحدث: حسن لغيره: التخريج: أخرجه الطبراني في (المعجم الأوسط) (٥٧٥٤)  
<sup>٢١</sup> الراوي: أبو ذر الغفاري | المحدث: الألباني | المصدر: صحيح الجامع: الصفحة أو الرقم: ١٠٩٩ | خلاصة حكم المحدث: صحيح

ومن غرائب أثر الهوى على النفس أنه يُسَيِّل المطلق، فما كان راسخاً من إيمانٍ واطمئنانٍ نفسٍ، ورضاً بقضاء الله، يهتزُّ مع الوقت بسبب الهوى، فالهوى يُضعف اليقين ذاتياً: ولذلك تجد الإنسان في لحظات المعصية تضعف نفسه أمام الشبهة، فإذا استغفر وأقلع عن الذنب تهاوت الشبهات لذاتها، فسبحان الله، فالهوى يريد الشبهة.

قال عليٌّ عليه السلام: "وأما اتباع الهوى فيصدُّ عن الحق" <sup>٢٦</sup>، لذلك قبل أن تبحث عن جواب شبهة اضبط شهواتك، فضبط الشهوة أول باب لضبط الشبهة، وعليك أن ترضى بشرع ربك ولو خالف هوى نفسك، فلا تُغلب هوى نفسك على مُراد ربك، كما قال ربنا ﷻ: ﴿تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾ [الأنفال: ٦٧]، و قال ربنا ﷻ: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ العَاجِلَةَ ﴿١٠﴾ وَتَذَرُونَ الآخِرَةَ ﴿١١﴾﴾ [القيامة: ٢٠-٢١].

فلو التزمت بما أراد الله منك، وضبطت شهواتك، وسلّمت لمراد ربك لاخفت جلُّ شبهاتك ذاتياً، فالفروض العقلية التي توضع في مقابل النص الشرعي ليس لها معنى، فله الحكمة البالغة في كل ما شرع، وأغلب التوهّمات العقلية التي تُؤدِّد الشبهات هي ردّة فعل نفسية لهوى يستتر في النفس، وكبر يعصف بالعقل.

### كيف يُضخم الهوى الشبهة؟

تخيّل إنساناً تضخمت الدنيا في عقله، وصارت أكبر همه، وبالتالي تضاعلت الآخرة. هذا الشخص لن يستوعب الجهاد، لن يستوعب أن يُضحى الإنسان بنفسه، ويضحى بالدنيا العظيمة في مقابل الآخرة الصغيرة في عقله. فالدنيا صارت أكبر همه. فيشقُّ على مثل هذا جداً تشريع الجهاد، وتظهر عنده الشبهة!

في حين أنه لو بدأ يعود لربه ﷻ، وينظر للأمور في حقيقتها، ويرى الدنيا على أنها تلك القنطرة النافهة في مقابل آخرة أبدية: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلِ الحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ

وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ [الكهف: ٤٥]، فالدنيا شيء عرضي بسيط في مقابل آخرة أبدية، لو عادت الأمور لنصابها الطبيعي، سيرى ساعتها أنّ الجهاد أمرٌ بديهيٌّ، وسيرجو من الله أن يُرزق شهادةً في سبيله، وبالتالي لن يكون لشبهة الجهاد وجود أصلاً.

فلا تُغريَنَّ صاحبَ الشبهات فروضه العقلية، ولا يغتر بتخيل عقلي يضعه في مقابل نص شرعي؛ لأنه لو ضبط نظرتَه، وضبط شهوته أسخر من فروضه العقلية التي يضعها في مقابل تشريع الله.

<sup>٢٦</sup> رواه الإمام أحمد في الزهد، ح ٣٧٧.

ثم إنَّ الفروض العقلية في طبيعتها تتفاوت من شخصٍ لآخر، فكل إنسان يُقدِّم هواه على هوى غيره، فيرى أن هواه أقرب للحق، وغيره يُخطئه في هواه، ويرى أنه هو الأولى بالحق: ﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ [المؤمنون: ٧١].

فمعطيات الفروض العقلية متفاوتة للغاية ومتناقضة لأبعد ما نتصوَّر، والفروض العقلية لا تملك أيَّ عتادٍ حقيقي يمنعها من التورُّط في صناعة الخرافة والأسطورة والوهم والهالوس، فالفروض العقلية تأتي بالشيء ونقيضه، فهي: تبني وتهدم، ترفع وتخفض، تؤله وتوثن.

وللفروض العقلية أقيسة لانهائية؛ لأن أصل مبناها الهوى، حيث يقول ابن قُتَيْبَةَ رحمته الله: "وقد كان يجب مع ما يدَّعونه -في تقديسهم للفروض العقلية- ألا يختلفوا كما لا يختلف الحُساب والمُساح والمُهندسون؛ لأن آلاتهم لا تدلُّ إلى على عددٍ واحدٍ، فما بألهم أكثر الناس اختلافاً؟ لا يجتمع اثنان من رؤسائهم على أمرٍ واحدٍ" انتهى<sup>٢٣</sup>

وقال فيهم الغزالي رحمته الله: "فإن خبطهم طويل، ونزاعهم كثير، وآراؤهم منتشرة، وطُرُقهم متباعدة متدابرة" انتهى<sup>٢٤</sup>

الفروض العقلية مبناها الهوى والتصوُّر الفردي؛ لذا هي متفاوتة أشد التفاوت.

فرحمة الله الكبرى هي النبوة والرسالة، وكل ما فيها خيرٌ مما يجمعون بفروضهم العقلية المختالة، ومن ظن أن له بفروضه العقلية حُجةً على ضلاله يوم القيامة فهو واهم، فقد قال الله جل جلاله: ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةً عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ [الشورى: ١٦]، وقال أيضا جل جلاله: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ٢٤]، فقد كذبوا على أنفسهم بفروضٍ عقليةٍ واهيةٍ، وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ: لن تستقيم لهم عند الله حُجة.

وما أعجب أن يفترض الإنسان بوهم عقله على شرع ربه، فهل هناك أحكم أو أعدل أو أعلم من شرع رب العالمين؟ ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

<sup>٢٣</sup> تأويل مختلف الحديث - ابن قتيبة (ص ١٤)  
<sup>٢٤</sup> تهافت الفلاسفة - الإمام الغزالي (ص ٧٦)

فهو **عَبْدُ الخَالِقِ** وهو **عَبْدُ الأَعْلَمِ** بما يصلح العباد: **﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾** [الملك: ١٤]، ولذلك لا يُغلب هواه على شرع الله إلا مفتون: **﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ﴾** [محمد: ٩]، فلا نجاة إلا بالتسليم الكامل للنص الشرعي، والرضا بحكم الله وأمره، كما قال الله **﴿فَأَسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾** [هود: ١١٢] وليس كما تهوى، وكما قال النبي **﴿(لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لِمَا جئتُ بِهِ)﴾**<sup>٢٥</sup>، فيكون تسليمك التام لكل ما أمر به الله **عَبْدُ** وتسلم لشرعه: **﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾** [النور: ٥١]، ولا تجعل ما لم تحط بعلمه من الحكمة في تشريع ما مثلاً حجةً تُكذِّبُ بها دين ربك: **﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾** [يونس: ٣]

<sup>٢٥</sup> لراوي: عبدالله بن عمرو | المحدث: الحكمي | المصدر: معارج القبول: الصفحة أو الرقم: ٢/٤٢٢ | خلاصة حكم المحدث: صحيح

## كيفية ظهور الدين

## إشكالات الطرح الإلحادي

## الطرح الإلحادي الأول

يُفترض الملاحظة والماديون أن: "نشأة الدين كانت عبر نظرة الإنسان البدائي في صفحة الكون، وخوفه من بعض الظواهر الكونية." انتهى<sup>٢٦</sup> وهذا الطرح الإلحادي فيه أربعة إشكالات:

١. الإشكال الأول: كيف يكون النظر في الكون أو الخوف من بعض ظواهره سبباً في إيقاظ الشعور الديني العميق عند جميع الأمم؟ فما علاقة حدوث ظاهرة كونية بنشأة دين له مراسيمه وطقوسه والتزاماته؟

٢. الإشكال الثاني: إن استمرار أيّة ظاهرة كونية على نسقٍ واحد يجعلها أمراً مألوفاً، لا يلفت النظر، ولا يحتاج إلى تعليل، وبالتالي لن تكون دافعاً لأيّة ردّة فعل ميتافيزيقية!

٣. الإشكال الثالث: لم يكن باعث نشأة الدين هو الخوف البدائي إطلاقاً، بل باعث نشأة الدين في كل الحضارات هو روح العظمة والقوة والاستعلاء، فلم يكن الاستسلام أو الجبن أو الخوف بدايةً لأي دين!

٤. الإشكال الرابع: لو كان مبعث الدين هو المشاهد الكونية، وكان هدف الطقوس هو استرحام الطبيعة؛ لَمَا استمر الناس على التدين بعدما ظهر أنها محاولات عابثة، فالظواهر الكونية تتكرر بنفس الوتيرة وبنفس الاطراد!<sup>٢٧</sup>

وبما أن الدين لم ينقطع يوماً، ولم ينفصل عن الجماعة الإنسانية عبر كل تاريخها، فلا بد أن يكون له منشأً مستقلاً تماماً عن هذا التحليل الاختزالي القاصر الذي يطرحه الملاحظة!

## الطرح الإلحادي الثاني

لكن بعض الملاحظة يدّعي أن: "الطوغم كان له دورٌ في نشأة الدين" انتهى

(٢٦) الأشكال الأولية للحياة الدينية، دوركهيم، ١٩١٢م.  
(٢٧) الدين، د. محمد عبد الله دراز.

بالفعل هذا هو الطرح الثاني الذي يُقدمه الملاحدة في نشأة الدين، فيقررون أن الجماعات البشرية القديمة أنشأت ما يُعرف 'بالطوتم Totem'، حيث تشترك العشائر في لقبٍ واحدٍ يُعرف بالطوتم، وهذا الطوتم في الغالب يكون لقبًا حيوانيًا تُنشئه القبيلة أو المجتمع، ومن هنا يبدأ الدين في الظهور، ومن أشهر المنتصرين لهذا التصور عالم الاجتماع الفرنسي الشهير: إيميل دوركايم! لكن في الواقع علماء الاجتماع اليوم صاروا يسخرون من هذا التصور، "فقد تبين بالبحث التاريخي الأنثروبولوجي Anthropology أن هناك أممًا كاملةً وحضاراتٍ بل وقاراتٍ لا تعرف شيئًا عن الطوتم، وليس عندهم نظام الألقاب الحيوانية، ومع ذلك توجد عند هؤلاء جميعًا عقيدة الإيمان بالله الأعلى بصورة واضحة"<sup>٢٨</sup>

بل والأعجب من ذلك أن علماء آخرون أثبتوا أن فكرة الطوتم في القبائل القديمة لم تكن فكرة دينية أصلًا وإنما هي فكرة اقتصادية، فالطوتم لم يكن رمزًا دينيًا، ولم تكن له علاقة بديانة القبيلة، وإنما هو مجرد شعار قومي يُعرّف القبائل بأنسابها، فهو شيءٌ أشبه بالعلم الخاص بالدول اليوم.



لأسف خيالات دوركايم بشأن كيفية ظهور الدين ظلّت لعقودٍ تُدرّس في جامعات أوروبا باعتبارها حقائق تاريخية، وبالمناسبة دوركايم كان له دورٌ كبيرٌ في تدليس المعرفة عند الأوروبيين، خاصةً عندما كان يطرح حفلات القبائل البدائية بما فيها من عريضةٍ وارتكاب للمُحرّمات كمظهرٍ تدينيٍ عندهم، فقد ثبت أن هذه الحفلات كانت تمرّدًا على هيكل الحياة الاجتماعية والدينية للقبيلة وليس العكس، وأصبحت هذه الحقيقة الآن من أشهر تدليسات دوركايم!<sup>(٢٩)</sup> فالنظم القبالية في كل المجتمعات تقوم على الفصل التام بين الجنسين؛ لقد جعل دوركايم بأسلوبٍ غريبٍ التمرد على الدين والحفلات الماجنة مظهرًا دينيًا.

(28) Andrew Lang (1968) the making of religion.

(٢٩) الدين، د. محمد عبد الله دراز، ص ١٥٦.



## من أين جاءت فكرة الإله الأكبر فاطر السماوات والأرض؟

هذا السؤال من أكبر الإشكالات التي تواجه الإلحاد اليوم! فالإيمان بالإله فاطر السماوات والأرض، وانتشار هذا الإيمان في كل ثقافات العالم عبر كل العصور، هذا الأمر لا يمكن تحليله مادياً!

فمن أين جاءت فكرة الإله الأكبر فاطر السماوات والأرض، وعلى غرار أي جماعة أو مجتمع طُبعت هذه الصورة؟ وكيف قامت الدعوات لها عبر كل التاريخ، وكل الجغرافيا، وعبر كل الزمان، وعبر تاريخ كل الأنبياء؟ فالجميع دعوا للإيمان بالله الواحد الخالق؟<sup>(٣٠)</sup>

وإذا نظرت إلى الديانات عبر التاريخ ستجد أنها تنتهي في الأخير للإيمان بالله الواحد، فهما كان إغراق هذا الديانات في الوثنية سوف تكتشف فيها بقايا التوحيد، توحيد الله ﷻ شأخصاً أمامك لا محالة، ويأتي الشرك وتعدّد الآلهة كمرحلة تالية!

## إذن هل التوحيد سابق على التعدّد؟

نعم! فتعدّد الآلهة لا يظهر إلا في مرحلة تالية بعد التوحيد النقي، وهذا الأمر صرّح به علماء الأنثروبولوجيا Anthropology الباحثون في تاريخ الأديان، مثل منيير وليامز M. Monier Williams حين قال: "التوحيد مُتقدم على كل صور الشرك التي ظهرت لاحقاً"<sup>(٣١)</sup>، وطبقاً لجماعة آخرين من الباحثين في دورية الإنسان البدائي Primitive Man فإنّ: "تاريخ الدين هو عبارة عن تحلّل أو انحراف من صورة مبكرة خالصة ونقيّة من التوحيد"<sup>(٣٢)</sup>.

فهذه حقيقة أركيولوجية أنثروبولوجية... التوحيد سابق على التعدّد؛ أو بصورة أخرى: الدين النقي كان أولاً.

وقد أجرى عالم الأنثروبولوجيا ويلهلم شمت Wilhelm Schimdt أبحاثاً مكثفةً على الأقزام والقبائل البدائية وتبيّن له أنّ الجميع يعتقد بالله واحد خالقٍ مهيمٍ، وقد نشر شمت نتائج أبحاثه في كتابه (مكانة الأقزام في تاريخ تطوّر الإنسان Position of Pygmy People in the History of Human Development) وهي نفس النتيجة التي توصل إليها عالم الأنثروبولوجيا الاسكتلندي أندرو لانج Andrew Lang فقد توصل إلى أن الدين

(٣٠) المصدر السابق.

نقلًا عن ثلاث رسائل في McCabe J. the Growth of Religion: A Study of its Origin and Development, Watts & Co. London, p.191 (31) الإلحاد والعلم والإيمان، د. عبد الله الشهري، مركز براهين.

نقلًا عن ثلاث رسائل في الإلحاد والعلم والإيمان، د. عبد الله J. M. C. the Origin and Early History of Religion, Primitive Man, Vol.2, P.45 (32) الشهري، مركز براهين.

الأول هو دين التوحيد السماوي، واستند في ذلك إلى دراسات عن قبائل وسط إفريقيا مثل الزولو والبوشمان وبعض قبائل الأمريكتين وأستراليا.<sup>(٣٣)</sup>

ومن العجيب أنّ الفيلسوف الألماني الكبير **فريدريك شلنج F. W. Schelling** قد أوضح في كتابه (فلسفة الميثولوجيا Philosophy of Mythology) أنّ التوحيد هو عقيدة البشرية الأولى قاطبةً، والتعدد يأتي في مرحلة تالية نتيجةً لفساد الأتباع.<sup>(٣٤)</sup>

وقد وافق **إدوين جيمس E. O. James** أستاذ الأنثروبولوجيا والديانات المقارنة البريطاني هذا الطرح من **لانج** و**شمت** و**شلنج**، وقَرَّر أن الإيمان بالإله الواحد الأحد هو الأصل عند الإنسان البدائي، وهذه هي العقيدة التي ما زالت عليها القبائل البدائية التي تعيش على جمع الثمار حتى يومنا هذا مثل قبائل Aboriginal في أستراليا والأقزام في إفريقيا.<sup>(٣٥)</sup>

فالعقيدة الإيمان بالله الواحد فاطر السماوات والأرض تراها عبر كل العصور، وهنا سيظل السؤال: **من أين جاء هذا الإيمان، ما مصدره؟ وكيف قامت له الدّعوات عبر كل التاريخ، وكل الجغرافيا؟** فمن منظور إلحادي مادي مُنكر لوعي الأنبياء، يبقى هذا السؤال معضلةً حقيقيةً!

### هل أصل الديانات المعاصرة هو التوحيد؟

قد يسأل السائل: ماذا عن الديانات المعاصرة كالهندوسية والمسيحية والزرادشتية وغيرها؛ هل هي أيضا في أصلها توحيدية؟ والجواب هو نعم!

### الهندوسية

فالهندوسية والتي هي من أكثر الديانات شِركًا اليوم تنتهي في الأخير إلى إيمان توحيدية قديم، وهذا ما ذكره التقرير المرفوع إلى الحكومة البريطانية في الهند، وفيه أنّ: "النتيجة العامّة التي انتهت إليها اللجنة من البحث هي أنّ كثرة الهنود الغالبة تعتقد عقيدة راسخة في كائن واحد أعلى".<sup>(٣٦)</sup>

(33) Andrew Lang (1968) the making of religion.

(34) F. W. Schelling «Philosophy of Mythology

(35) E. O. James «Prehistoric religion: A study in prehistoric Archeology» p. z06.

(٣٦) قصة الحضارة، ول ديورانت، مجلد ٣ ص ٢٠٩.

وفي الهندوسية اليوم هناك ما يُعرَف بالسادهو الهندوسي Sadhu ذاك الرجل الذي يلبس ملابس زعفرانية، ويترك أهله ليعيش متوحداً؛ هذا السادهو لن يصل إلى هذه المرحلة إلا بعد التخلي عن كل الشركيات والآلهة الأرضية، والإيمان بخالق واحد أول!



## المسيحية

والمسيحية أيضاً في أصلها ديانة توحيدية، ولم تظهر مصطلحات الأقانيم والتثليث إلا بعد رفع المسيح عليه السلام بزمان، وبدخول عقيدة التثليث إلى المسيحية ظهرت إحدى المَحَن الكبرى في هذه الديانة، فالكتاب المقدس هو كتاب توحيدي صارخ، والإيمان بالله الواحد هو أعظم وصايا الكتاب المقدس على الإطلاق!

فكما ورد على لسان موسى عليه السلام في سفر التثنية: "الربُّ إلهنا ربُّ واحدٌ" [الإصحاح ٦: العدد ٤]

## سفر التثنية 6

- 4 **اسمع يا إسرائيل: الربُّ إلهنا ربُّ واحد.**
- 5 **فتحب الربُّ إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوتك.**
- 6 **ولتكن هذه الكلمات التي أنا أوصيك بها اليوم على قلبك،**
- 7 **وقصها على أولادك، وتكلم بها حين تجلس في بيتك، وحين تمشي في الطريق، وحين تنام وحين تقوم،**
- 8 **واربطها علامة على يدك، ولتكن عصائب بين عينيك،**
- 9 **واكتبها على قوائم أبواب بيتك وعلى أبوابك.**

بل ورد على لسان المسيح عليه السلام في (إنجيل مرقس) الذي بين أيدي المسيحيين حتى اليوم نفس قول موسى عليه السلام،

حيث قال المسيح: "إن أولَّ كل الوصايا هي: اسمع يا إسرائيل، الربُّ إلهنا ربُّ واحدٌ" [الإصحاح ١٢: العدد ٢٩]

## إنجيل مرقس 12

- 29 فأجابه يسوع: «إن أول كل الوصايا هي: اسمع يا إسرائيل. الرب إلهنا رب واحد.
- 30 وتحب الرب إلهك من كل قلبك، ومن كل نفسك، ومن كل فكرك، ومن كل قدرتك. هذه هي الوصية الأولى.
- 31 وثانية مثلها هي: تحب قريبك كنفسك. ليس وصية أخرى أعظم من هاتين».

فهذه أعظم وأهم وصايا الكتاب المقدس على الإطلاق، وهنا ظهرت إشكالية ومحنة التعارض بين التوحيد في الكتاب المقدس، وبين هذا الإيمان بالتثليث الذي ظهر بعد رفع المسيح بزمن.

وطبقاً لدائرة المعارف البريطانية ف: "المسيحيون الأوائل كانوا ضد التثليث؛ لأن التثليث لا علاقة له بالتوحيد الإلهي الذي تعلمه الكتب المقدسة".<sup>(٣٧)</sup>

وأمام هذه الإشكالية الكبرى قالوا: التثليث هو توحيد، والأقانيم الثلاثة هي الله الواحد؛ فخالفوا بذلك العقل وكل منطق بشري، فكل أقنوم طبقاً للإيمان المسيحي هو إله كامل، فكيف تكون الأقانيم الثلاثة إلهًا واحدًا؟ والشاهد من هذا أن أصل المسيحية هو توحيدي تمامًا.

### الزرادشتية

ولو ذهبنا للزرادشتية نجد نفس الأمر فالزرادشتية في أصلها ديانة توحيدية، لكنها أصبحت اليوم مثنوية. مثنوية أي: تؤمن بالهين اثنين؛ فالإله الواحد الخالق جعلوا معه إلهًا صغيرًا نسبوا له خلق الشر، وهذا التصور الشركي المثنوي ظهر في مرحلة متأخرة.<sup>(٣٨)</sup>

In 1862, Martin Haug proposed a new reconstruction of what he believed was Zoroaster's original monotheistic teaching, as expressed in the Gathas—a teaching which he believed had been corrupted by later Zoroastrian dualistic tradition as expressed in post-Gathic scripture and in the texts of tradition. For Angra Mainyu, this interpretation meant a demotion from a spirit coeval with Ahura Mazda to a mere product of Ahura Mazda. Haug's theory was based to a great extent on a new interpretation of Yasna 30.3; he argued that the good "twin" in that passage should not be regarded as more or less identical to Ahura Mazda, as earlier Zoroastrian thought had assumed, but as a separate created entity, Spenta Mainyu. Thus, both Angra Mainyu and Spenta Mainyu were created by Ahura Mazda and should be regarded as his respective 'creative' and 'destructive' emanations.

(٣٧) دائرة المعارف البريطانية، الجزء الثالث ص ٦٣٤.

(38) Haug, Marti العدد (1884): n. Essays on the Sacred Language, Writings and Religion of the Parsis.

فكل الديانات في أصلها كانت على التوحيد النقي، قال ربُّنا ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وحتى مشركو العرب ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزمر: ٣٨]، ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧]

فالكل يؤمن بأنَّ التوحيد هو الأصل في كل الديانات، فكلُّ البشر عبر كل التاريخ، في كل الديانات كانوا على لا إله إلا الله!

بل دعونا ننظر لهذا التصريح شديد اللهجة من المسيح ﷺ بنفي الألوهية عن نفسه، وأنَّ الله واحدٌ وليس آخر سواه، وهذا التصريح يوجد في الإنجيل الذي بين أيدي المسيحيين حتى الساعة: يقول المسيح ﷺ: "إِنْ كُنْتُ أَشْهَدُ لِنَفْسِي فَشَهَادَتِي لَيْسَتْ حَقًّا. الَّذِي يَشْهَدُ لِي هُوَ آخِرٌ وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّ شَهَادَتَهُ الَّتِي يَشْهَدُهَا لِي هِيَ حَقٌّ"

### إنجيل يوحنا 5

31 «إِنْ كُنْتُ أَشْهَدُ لِنَفْسِي فَشَهَادَتِي لَيْسَتْ حَقًّا.

32 الَّذِي يَشْهَدُ لِي هُوَ آخِرٌ، وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّ شَهَادَتَهُ الَّتِي يَشْهَدُهَا لِي هِيَ حَقٌّ.

والآن ركِّزوا في قول المسيح: "الَّذِي يَشْهَدُ لِي هُوَ آخِرٌ"! إذنَّ الله هو آخر غير المسيح! وبالتالي المسيح ليس هو الله! ويأتي النصُّ المدهش في إنجيل مرقس: "اللَّهُ وَاحِدٌ وَلَيْسَ آخَرَ سِوَاهُ" [الإصحاح ١٢: العدد ٣٢]

إذنَّ عندما قال المسيح عن الله: "الَّذِي يَشْهَدُ لِي هُوَ آخِرٌ" فهو بهذا ينفي عن نفسه أيَّة صورة من صور الألوهية، فبالجمع بين النصِّين في إنجيل يوحنا وإنجيل مرقس تكون النتيجة أن: المسيح ليس هو الله! فهذا هو دين التوحيد الذي جاء به كلُّ الأنبياء!

لكن للأسف مع الوقت يتخذ البشرُ الأصنامَ والآلهة البشرية والوثنيات والشركيات قُربى إلى الله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٣]، فالدين يظهر توحيدياً، ثم يتخذ الناس الأصنامَ والمعبودات الأرضية وسائط لله عز وجل!

ما سبب ترك عبادة الله مقابل اتخاذ الأصنام والأوثان قربات له ﷻ؟

الأصنام والأوثان لم تكن تُعبد لذاتها في أيَّة ديانة! بل هي كانت مجرد وسائط لله! ولذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "ومن ظنَّ في عبَاد الأصنام أنَّهم كانوا يعتقدون أنها تخلق العالم، أو أنها تُنزل المطر، أو أنها تُنبِت النبات، أو تخلقُ الحيوان أو غير ذلك، فهو جاهلٌ بهم، بل كان قصد عبَاد الأوثان لأوثانهم من جنس قصد

المشركين بالقبور".<sup>(٣٩)</sup> فاتخاذ الأصنام كان من باب تعظيمها وجعلها وسيطاً لله، لكنهم يعلمون أنّ الله وحده هو الخالق الرازق.

نعم قد ينسبون لها نوعاً من التقدير والتدخّل في الأقدار، لكنهم يعرفون أنّ هناك خالقاً واحداً ﷻ! فالأصنام كانت من باب الواسطة لله بجهلهم، كما يتقرّب الجهّال للقبور ويجعلونها وسائط لله، ويدعون صاحب القبر أن يشفيهم، أو أن يرزقهم الولد، ويذبحون لصاحب القبر، فهذا كان حال عبّاد الأصنام عبّر العصور، فقد كانت الأصنام في الأصل أسماء لرجال صالحين اتخذها الناس قربي لله وواسطة له.

فغاية دعوة كل الأنبياء هي إعادة الناس للتوحيد النقي، ونزع هذه الشركيات، وما كانت هذه الشركيات أكثر من واسطة لله، ولذلك لم يُنكر كفار قريش "الله ﷻ" وإنما أنكروا التخلي عن أصنامهم وشركياتهم.

ولذلك من المعلوم أنّ أصل دعوة الأنبياء هي في توحيد الألوهية، أي في: "إفراد الله بالعبادة" لا في توحيد الربوبية، أي: "إفراد الله بالخلق"، فكل البشر بفطرتهم وبقايا الثنّوات لديهم على توحيد الربوبية، فالكل يؤمن بالله الواحد... لكن أتى الأنبياء لتنتقية جناب التوحيد من الشركيات.

### كم عدد الديانات التي ما زالت على التوحيد النقي اليوم على الأرض؟

لم يبقَ على إفراد الله بالعبادة... لم يبقَ على التوحيد النقي على وجه الأرض اليوم سوى الإسلام! فالإسلام هو الدين التوحيدي الأوحّد اليوم على الأرض/ فكل المنتسبين للديانات خلا الإسلام لهم من الشرك نصيب قلّ أو كثر! ولذلك فالدعوة للإسلام هي من أيسر ما يكون؛ لأنها دين الفطرة، ولا تحتاج معها لمقدمات عقلية؛ فالكل مفطور على الانكسار للباري، والخضوع له، والتسليم بكمال العبودية له جلّ وتقدّس ﷻ، ومُهمّة الداعي للإسلام أن يستثير تلك الفطرة، ويدفعها للنظر، فإذا نظرت وتبيّنت صدق الرسول ﷺ فهذا يكفي للتسليم بصحة الإسلام.

فالدين فطرة إنسانية، والدين هو الذي سار إلى الإنسان، وهو الذي نزل إليه، ولم يصعد هو إليه.

فالناس لم يعرفوا ربهم بافتراض العقل البدائي، وإنما بنور الوحي!<sup>(٤٠)</sup>

لذلك بدأت كل الديانات بداية توحيدية نقيّة، ثم أتت الشركيات في مرحلة تالية! فالوحي لجميع الأنبياء في أصل التوحيد واحداً! قال ربنا ﷻ: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَعَاتَيْنَا دَاوُدَ زُبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣]

(٣٩) مجموع الفتاوى، م ١ ص ٣٥٩.

(٤٠) الدين، د. محمد عبد الله دراز.



## مدى نجاعة العقل والعلل التجريبي والحس والفلسفة لإشباع المعرفة الإنسانية

## أسطورة العميان الست



هناك أسطورة تحكي أنّ ستة من العميان في الهند ذهبوا ليتفحصوا فيلاً ضخماً، وكل أعمى كان مُطالِباً بوصف الفيل بحسب ما تحت يده؛ مستخدماً العقل، والتجربة العملية، والحس، والفلسفة:

فالذي لمس ناب الفيل قال باجتهاده العقلي وخبرته: هذا رُمح! والذي لمس أنف الفيل قال باجتهاده العقلي وخبرته: هذه أفعى ضخمة! والذي لمس رجل الفيل قال باجتهاده العقلي وخبرته: هذه شجرة! والذي لمس بطن الفيل قال: هذا جدار!

فهذه طبيعة المعرفة البشرية القاصرة! العميان الستة استخدموا العقل والتجربة العملية والحس والفلسفة، فجاءت النتيجة قاصرة بقصور العقل والتجربة العملية والحس والفلسفة! فكلهم أخطأوا في وصف ما تحت أيديهم.

لكن كيف نصّف نحن هؤلاء العميان الستة بأنهم جميعاً على خطأ؟ لأننا ببساطة نرى المشهد من الخارج! فنحن ننظر للجميع: للفيل وللعميان نظرة شاملة... نرى الصورة من الخارج!

الفرق بين اجتهاد العميان الستة وبين النظرة الصحيحة الشاملة، هذا بالضبط كالفرق بين العقل والتجربة العملية والحس والفلسفة وبين الوحي الإلهي

## بين العقل والوحي

العقل والتجربة العملية والحس والفلسفة يُقدمون معرفة قد تكون نافعة ومفيدة، لكنها قاصرة بقصور قُدراتك وحدود إمكاناتك، بينما الوحي على العكس من ذلك تمامًا؛ الوحي يحكّم على المشهد من خارجه، فيعطيك أحكامًا كليةً... أحكامًا شموليةً؛ فالوحي يُخبرك بغاية وجودك، وبمعنى وجودك، وبما وراء وجودك!

بينما العقل والتجربة العملية والحس والفلسفة لن يستطيعوا مجتمعين التقدّم لجواب سؤال وجودي واحد من هذه الأسئلة! لن يُقدموا جوابًا لسؤال الغاية... غاية وجودك، ولن يقدموا جوابًا لسؤال المعنى وسؤال القيمة! ولو حاول العقل أو التجربة العملية أو الحس أو الفلسفة أن يتقدموا بجوابٍ واحدٍ، فلن يختلفوا كثيرًا عن العُميان الستة!

فالعقل والتجربة العملية والحس والفلسفة يُجيدون تقديم أجوبة دنيوية رائعة لحاجاتٍ دنيوية قاصرة مثل: أفضل طعام، وأفضل شراب، وأفضل طريقة للسفر، وأفضل حل لمعادلة رياضية، وأفضل تخمين علمي لظاهرة كمومية... يقدمون أجوبةً جميلةً لهذه الأسئلة وهذا مُنتهاهم... يقدمون جواب الحيزّ الدنيوي الضيق المادي المحيط بنا.

## ماذا لو أجابت بدائل الدين عن الأسئلة الوجودية؟

ماذا لو أنّ أحد هذه البدائل الأربعة: العقل والتجربة العملية والحس والفلسفة؛ أجاب عن غاية الحياة أو معنى الوجود أو حلّ قيمة إنسانية تحليلًا ماديًا؟

لو افترضنا أنّ العقل أو التجربة أو الحس أو الفلسفة أجابوا عن شيءٍ من ذلك، فنحن جميعًا سنسخر من الجواب! نعم هذه هي الحقيقة! فلا العقل، ولا التجربة، ولا الحس، ولا الفلسفة يستطيعون تقديم تعريف صحيح للأخلاق أو المنفعة أو المضرّة أو القِيم الجمالية، أو الصواب أو الخطأ، فلا توجد ذرّة تحمل معنى قيمياً، ولا توجد معادلة رياضية تضع رموزًا لمعاني الأمانة أو الخيانة، ولا يحصل تبادل أيونات على جدران خلايا مخك العصبية لمعاني الطهر، وأيونات ثمانية لمعاني العفة، وأيونات ثلاثة لمعاني النجاسة والفسق! فهذه مفاهيم وقِيم ومعانٍ لا يمكن تحليلها عقليًا أو تجريبيًا أو حسيًا أو فلسفيًا!



يقول **Schrödinger** الحائز على نوبل في فيزياء الكم، يقول: "لو حاول العلم التجريبي أن يُحلل المعاني الأخلاقية أو الجمالية، فإننا سنستمع إليه لنضحك، لا لناخذ كلامه على محمل الجد"<sup>(٤١)</sup>، فالعلم سيلزّم الصمت التام تجاه هذه الأمور التي لا تخضع لنطاقِ رصده!

فمعاني الصدق والكذب، والصواب والخطأ، والقيمة الجمالية، والمعاني التكليفية، فضلاً عن العالم الغيبي؛ هذه المعاني لا تقع في إطار العالم المادي الذري حتى تُخضعها للعلم التجريبي، أو الحسي، أو التخمين العقلي، أو الفلسفي، فلا تُستتار المعرفة في هذه الجوانب كلها إلا بنور الوحي الإلهي!

### العقل يقرر المبادئ الأخلاقية حتى بعيداً عن الدين

المبادئ الأخلاقية مُستمدّة من الفطرة المتفكّقة مع التكليف الديني، وليست مستمدّة من النشاط الدماغي! فالنشاط الدماغي هو عبارة عن تبادل أيونات على جدران خلايا عصبية، والمخ لا يحتوي على أكثر من تبادل أيونات ونواقل عصبية! فالمبادئ الأخلاقية هي نتاج فطرة متفكّقة مع دين، وليست نتاج نشاط دماغي!

لذلك لو تجاهل الإنسان الفطرة، وعاند الدين، ونظر لنفسه نظرةً ماديةً مجردةً؛ وحلّل نشاطه الدماغي تحليلاً مادياً، فلن يرصد ساعتها أكثر من: ذرات، وتبادل أيونات، وشحنات كهربية، وفي هذا الإطار ما أيسر أن يُعقلن أية إبادة شمولية!

وهتلر قام بعقلنة: وجوب إبادة الأعراق البشرية الأدنى، وتمت بالفعل إبادة مئات الآلاف من البشر على يد العقلة النازية المادية.

ويكفيك ببساطة أن تقرأ عن مشروع أكترون تي فيا Aktion T4 والذي أُبدي فيه ثلث مليون إنسان على يد النازي؛ لأن هؤلاء الذين تمت إبادتهم يقفون في وجه الانتخاب الطبيعي والبقاء للأصلح!

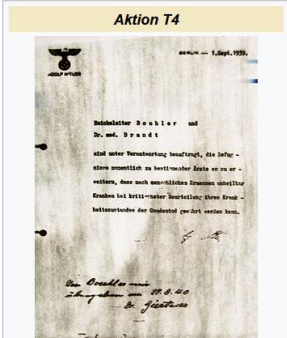
(41) I am very astonished that the scientific picture of the real world around me is deficient: it is ghastly silent about all and sundry that is really near to our heart: that really matters to us. It cannot tell us a word about red and blue: bitter and sweet: physical pain and physical delight; it knows nothing of beautiful and ugly: good or bad: God and eternity. Science sometimes pretends to answer questions in these domains: but the answers are very often so silly that we are not inclined to take them seriously.

**Aktion T4**

From Wikipedia, the free encyclopedia

**Aktion T4** (German, pronounced [akˈtsjoːn tɛ.ˈfɪ.ɐ]) was a postwar name for **mass murder** through involuntary euthanasia in **Nazi Germany**.<sup>[1][6]</sup> The name T4 is an abbreviation of *Tiergartenstraße 4*, a street address of the Chancellery department set up in the spring of 1940, in the Berlin borough of Tiergarten, which recruited and paid personnel associated with T4.<sup>[5]</sup><sup>[6][7][8]</sup> Certain German physicians were authorised to select patients "deemed incurably sick, after most critical medical examination" and then administer to them a "mercy death" (*Gnadentod*).<sup>[9]</sup> In October 1939, Adolf Hitler signed a "euthanasia note", backdated to 1 September 1939, which authorised his physician **Karl Brandt** and **Reichsleiter Philipp Bouhler** to implement the programme.

The killings took place from September 1939 until the end of the war in 1945; **from 275,000 to 300,000 people were killed** in psychiatric hospitals in Germany and Austria, occupied Poland and the Protectorate of Bohemia and Moravia (now the Czech Republic).<sup>[9][10][11]</sup> The number of victims was originally recorded as 70,273 but this number has been increased by the discovery of victims listed in the archives of the former East Germany.



والإلحاد حتى الساعة يُعقلن قتل الأجنة! فيُجيز إجهاض الأجنة دون أدنى وخز للضمير.

Privacy and cookies | Jobs | Dating | Offers | Shop | Puzzles | Investor

## The Telegraph

Home Video News World Sport Business Money Comment Culture Travel Life Women  
Politics Investigations Obits Education Science Earth Weather Health Royal Celebrity D

HOME > NEWS > HEALTH > HEALTH NEWS

**Women are legally free to abort a baby because of its sex, says abortion charity head**

The chief executive of Britain's biggest abortion charity has said women are legally free to arrange an abortion because they are unhappy with the sex of their unborn baby.

Ann Furedi, of BPAS, said the law does not prevent women from choosing a termination on the grounds of gender and she even compared it to abortion after rape.

Mrs Furedi's comments come weeks after it was disclosed that the CPS had decided not to prosecute two doctors who were exposed by a Daily Telegraph investigation arranging terminations purely because the unborn baby was a girl.



ويقوم الإلحاد بعقلنة إجهاض الأجنة بتحليل مادي عقلاني محايد تمامًا، فيقرر أنّ الأجنة تمثل مراحل حيوانية مختلفة Ontogeny recapitulates Phylogeny - وهذه خرافة علمية بالمناسبة لكن الإلحاد يتبناها، فإذا كانت الأجنة بهذه الصورة فما المانع من قتلها؟

وبنفس هذه القياسات يمكن ماديًا وإلحاديًا عقلنة إبادة الجنس البشري بنفس درجة إبادة مستعمرة بكتيرية!

فطالما تجاهلت الفطرة، وعاندت الدين، لن يقف في وجه تدميرك للأرض وما عليها شيء! فلن تستطيع التأسيس عقليًا أو علميًا أو حسيًا أو فلسفيًا لأية قيمة أخلاقية أو لأي معنى غائي: فتحليل النشاط الدماغي لن يُفرز تعريفًا للخير ولا للشر، فلا يمكن أن تُستمدَّ المبادئ الأخلاقية من غير الفطرة المتفقة مع الدين!

يعترف الملحد ريتشارد داوكنز بهذه الحقيقة الصعبة فيقول: "من الصعب جداً الدفاع عن القيم الأخلاقية المطلقة على أرضية أخرى غير الدين".<sup>(٤٢)</sup> فالنشاط الدماغي والعلم التجريبي والحس والفلسفة، هذه البدائل الأربعة بدائل قاصرة لا تجيب عن سؤال وجودي أو معنوي غائي أو أية قيمة إنسانية.

هذه البدائل تتيح فقط معارف قاصرة لإنتاج مدرجات قاصرة لعلاج مشكلات قاصرة كالأكل والسفر والدواء وسبل الراحة، هذا ما لدى البدائل الأربعة، لذلك فالدين دائماً يؤكد أن القيم الإنسانية الكلية ومعاني: الغاية والعلة والمعنى والغيب؛ هذه القيم والمعاني لا تنضبط إطلاقاً بأيٍّ من هذه البدائل الأربعة، وإنما تنضبط فقط بنور الوحي... تُضَبَطُ فقط بالرسالة الإلهية التي بثّها الأنبياء، وَمَنْ اغْتَرَّ بِهذه البدائل الأربعة وحدها يهلك!

قال الله ﷻ: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ [غافر: ٨٣]، فالمحتوى العلمي المادي قاصرٌ في جواب أي محتوى كلي وجودي.

### هل هذا تقليل من قيمة العلوم التجريبية؟

الله ﷻ منحنا العلم المادي التجريبي القاصر لإجابة حاجات قاصرة كالأكل والاختراع ونقل المعلومات والتواصل وحل المعادلات الرياضية، لكنّه ﷻ منحنا الوحي والكتب السماوية والرسالات لجواب الأسئلة الكلية، فلا بد أن نعرف حجم العلوم المادية بجانب الوحي الإلهي! وأن نعلم أن كل من تجاهل الجواب الإلهي... الوحي الإلهي... هذه الرسالة الإلهية، فإنه سيصبح أعمى مثل العميان الستة لا محالة؛ مهما تسلح بكل العلوم المادية التجريبية!

قال ربنا ﷻ: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الرعد: ١٩]، فلا سبيل لمعرفة معاني التكليف والقيم الإنسانية وغاية الوجود إلا من طريق الوحي والنبوة! قال ابن تيمية ﷺ: "لولا الرسالة لم يهتد العقل إلى تفاصيل النافع والضار، ولولا الرسالة لكان البشر بمنزلة الأنعام بل أشر حالاً منها".<sup>(٤٣)</sup>

فالرسالة الإلهية ضرورية لمعرفة القيمة والغاية ومعنى الوجود ومعرفة الشريعة! وبدون الرسالة الإلهية نتحوّل إلى: أشباح بلا معنى، كما يقول اللاأدري الشهير كارل ساغان Carl Sagan حين قال: "لا فرق بين الإنسان مادياً وبين قطعة حجر".<sup>(٤٤)</sup> فبدون الوحي الإلهي نتحوّل إلى ذرات تتلاطم لا أكثر!

(42) It is pretty hard to defend absolute morals on grounds other than religious onesthe god Delusion. p.232

(44) Human is essentially the same laws and constants are required to make a rock.  
Carl Sagan Pale Blue Dot: A Vision of the Human Future in Space

(٤٣) مجموع الفتاوى، مجلد ١٩ ص ١٠٠.



﴿وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ [النور: ٤٠]، فَمَنْ نَسِيَ غَايَةَ وجوده مهما كان متسلحًا بكل علم ماديٍّ وفلسفةٍ، فَإِنَّهُ لَنْ يَتَجَاوَزَ مرحلة الحجر أو الحشرات، كما يقول الملحد الوجودي سارتر، فقد قال ضمنيًا: "الإنسان وَفَقَ نظرة مادية ليس أكثر من حشرة".<sup>(٤٥)</sup>

قال الله ﷻ: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنِ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ [البقرة: ١٣٠]، فمن يرغب عن الدين يُسفه نفسه ومن ينسى الله ﷻ ينسى نفسه: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسَتْهُمُ أَنْفُسُهُمْ﴾ [الحشر: ١٩]

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: "الدنيا كلها ملعونة، معلونٌ ما فيها، إلا ما أشرقت عليه شمس الرسالة، فحاجة الإنسان إلى الرسالة أعظم وأشدُّ من حاجته لكل شيء، ولا بقاء لأهل الأرض إلا ببقاء آثار الرسالات، فإذا دُرست آثار الرسل من الأرض قامت القيامة".<sup>(٤٦)</sup> فكل خيرٍ في الأرض هو من بقايا النُّبُوتِ.<sup>(٤٧)</sup>

### حال الإنسانية دون النبوات

وإذا اختفت النبوات فكيف يكون حال الأرض؟

كلُّ خراب في الأرض هو من العمل بخلاف ما أمرت به النبوات: فكما فصلت: لن تستطيع كلُّ عقول وتجارب وفلسفات العالم أن تؤسس لومضةٍ من نورٍ في جواب قيمةٍ إنسانيةٍ واحدةٍ، أو في بيان غايةٍ وجوديةٍ واحدةٍ؛ فالنور هبة إلهية تفتقرن بالإيمان، ولن تستطيع كل محاكم العالم، ولن تستطيع كل دساتير العالم أن تكبح جماح جريمةٍ واحدةٍ على أساسٍ عقليٍّ أو ماديٍّ أو تجريبيٍّ! وإلا فما المانع الإلحادي المادي من إبادة البشر؟ كما قلنا من قبل: لا مانع! ما المانع المادي الدارويني من إدخال الأعراق البشرية الأدنى أفضاص حيوانات؟ لا مانع! وما أغلقت أفضاص حيوانات البشر في أوروبا، وهذه الصورة كمثل:

(45) Jean Paul Sartre. Nausea (novel)

(٤٦) مجموع الفتاوى، مجلد ١٩ ص ١٠١.  
(٤٧) الصارم المسلول، ص ٢٤٩-٢٥٠.

**MailOnline** News

Home | News | U.S. | Sport | TV&Showbiz | Australia | Femall | Health | Science | Money | Video | Travel | Fashion Finder

Latest Headlines | News | World News | Arts | Headlines | France | Pictures | Most read | Wires | Discounts | Login

## The horrifying Human Zoos: Shocking photos reveal how zoos around the world kept 'primitive natives' in enclosures as Westerners gawped and jeered at them just 60 years ago

- Horrifying images show how black and Asian people were 'displayed' in zoo enclosures around the world
- 'Human zoos' designed to emphasise cultural differences between Europeans and people deemed primitive
- Millions visited the shocking enclosures in the early 20th century both in America and across Europe



The horrifying industry was also active in Europe. An African girl is shown at the 1958 Expo in Brussels, Belgium that featured a 'Congo Village' with visitors watching her from behind wooden fences

فحقائق حيوان البشر كانت منتشرة في العواصم الأوروبية حتى منتصف القرن الماضي بلا حياء! كانت حدائق حيوان البشر هذه تطبيقاً عملياً للنظرة المادية للبشر... تحليلاً موافقاً للتطور والانتخاب للأصلح! ما أغلقت أقفاص حيوانات البشر في أوروبا، وما أدينت النازية، وما أغلقت معسكرات إبادة الأعراق البشرية الأدنى إلا ببقايا النُّبوت في الغرب.

وَإِنَّ اللَّهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، فَتَقْتَهُمْ عَرَبَهُمْ  
وَجَمَّهُمْ، إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكُتَابِ، وَقَالَ: إِنَّمَا بَعَثْنَاكَ لِأَتِيكَ وَأَتِيَّ بِكَ، وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَابًا لَا يَغْسِلُهُ الْمَاءُ، تَقْرُوهُ نَائِمًا  
وَيَقْظَانِ

الراوي: عياض بن حمار | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم  
الصفحة أو الرقم: 2865 | خلاصة حكم المحدث: [صحيح] | شرح الحديث

🐦 📌

فلم تُوقَف محارق النازية إلا ببقايا النبوت! لم يوقف التمييز بين البشر بناءً على لون البشرة أو حجم الأنف إلا ببقايا النبوت!



ولم تغلق غُرَف الغاز في أوشفيتز Auschwitz إلا بعد أن التمس الناس بقايا فطرهم... فبدون الفطرة سيفتقد الناس لأية نقطة مرجعية للأخلاق.

إذا اعتمدنا على النظرة الإلحادية للبشر، لن يكون هناك فرق بين المحرقة النازية وحفلة شواء! ولن يزدد البشر عن أن يكونوا حُتالة كيميائية Chemical Scum على حد وصف الفيزيائي ستيفن هاوكنج.<sup>(٤٨)</sup>

فالنُّبوة هي الوسيلة الوحيدة الصحيحة للمعرفة بالإنسان وبالله.

يقول نجيب محفوظ الذي قضى دهرًا من عمره في الشك يقول: "الله وحده هو الذي يُعطي القيم معناها، الله وحده هو الذي يعطي الوجود معناه، بدونه لا معنى للوجود... لا معنى للقيم، وبديله هو العبث... اللامعنى".<sup>(٤٩)</sup> فالإنسان مفتقرٌ افتقارًا ذاتيًا إلى الدين... مفتقر افتقارًا ذاتيًا ضروريًا إلى الله! وكل منكرٍ للعلم الإلهي الذي بثّه الأنبياء منكر لأعظم مطلوبٍ في الوجود.

(48) From an interview with Ken Campbell on Reality on the Rocks: Beyond Our Ken, 1995

(٤٩) وطني مصر، نجيب محفوظ، ص ٦٣، دار الشروق. نقلًا عن: لست ملحدًا لماذا؟ كريم فرحات.

## أساليب دعاة التغريب في المجتمع المسلم

## تعريف التغريب

التغريب ببساطة شديدة الإيمان بمركزية القيم الغربية وعالمية مُثلهم هذا أصل التغريب وغاية التغريب في العالم الإسلامي هو محاولة تأويل نصوص الشرع لتوافق القيم الغربية.

## أساليب دعاة التغريب في العالم الإسلامي

طبعا هذه أساليب لا يمكن حصرها، لكن لو وضعنا خيطا وقلنا هذه أساليب دعاة التغريب فسيكون في طرف الخيط أساليب لنشر الإلحاد المادي بين أبناء المسلمين وفي الطرف الأخر أساليب لنشر الإلحاد الروحي المغطى بالزّي الإسلامي وبين طرفي الخيط ستجد الكثير من الأساليب والمشاريع لنشر أفكار ضالة لا حصر لها مثل إنكار السنة والتطبيع مع الشذوذ الجنسي والدعوة للنسوية... أساليب ومشاريع كثيرة.

## الإلحاد المادي

هو إنكار الخالق والغيب والنبوات وهذا النوع من الإلحاد خافت ولا تدعمه فيما أعلم أية مؤسسة غربية رسمية، فالإلحاد يقوم فقط على جهود مؤسسات غير رسمية وأفراد يدعمون ملاحدة العرب دعما ماليا صريحا لنشر الإلحاد، هذا نعم موجود والملاحدة العرب كموجودين ولهم جهود في فتننة أبناء المسلمين.

وهذا لأن الإلحاد المادي ليس يسيرا، الإلحاد المادي يطلب منك إيمانا أعلى بكثير من الإيمان الديني، لكنه إيمان مبني على الفروض المتوهمة والخيالات الخاطئة، بعكس الإيمان الديني المبني على بديهيات فطرية وقطعيات نرصدها بأعيننا وأوليات عقلية وبراهين شرعية.

فحتى تُلحد عليك تخيُّل الآتي:

- اللاشيء انضاف إلى اللاشيء فصار شيئا عظيما، صار كونا مدهشا من أروع ما يكون وبمنتهى المعاييرة الدقيقة والحدود الحرجة؛

- الصدفة أنتجت الحدود الحرجة والثوابت الفيزيائية التي جاء بها الكون؛ في حين أن شرطي الصدفة هما المكان والزمان، والكون جاء من اللامكان واللازمان وبالتالي من اللاصدفة!



● العشوائية وبيئة الأرض الأولى أنتجت الحياة وأنشأت الباكترية والإنسان، في حين أن العقل البشري في قمة جبروته الآن لا يستطيع أن يُنتج أبسط صور الحياة؛

● كل القيم الأخلاقية التي نُسلم بصحتها والتي يسير أغلبها في اتجاه مضاد للمادة تمامًا –فالأخلاق الأصلية تمثل عبئًا ماديًا وخسارة على مستوى المصلحة الدنيوية، وهي من معطيات المادة ومنتوجاتها.

هذه المحالات العقلية عليك أن تؤمن بها حتى تبدأ في الإلحاد، ولا يوجد مستند عقلي ولا مادي في الإلحاد يمنع من إبادة أهل الأرض جميعًا: فما أن العالم المادي لا يعرف الخطأ ولا الصواب، إذن تستوي إبادة أهل الأرض جميعًا بإحياهم إلحاديًا.

من أجل ما سبق فأساليب دعاة التغريب لنشر الإلحاد المادي ليست مؤسسية والغرب اصلا اكتوى بالإلحاد المادي قرنا كاملا من الزمن وفلسفات دموية مرعبة نشأت في كنف الإلحاد المادي الستالينية والماوية والنازية فلسفات أدت لحروب عالمية نشأت في كنف الإلحاد المادي فليس من مصلحة الغرب نشر الإلحاد المادي

### الإلحاد الروحي

لكن في الطرف الآخر من خيط أساليب دعاة التغريب هناك ما يعرف بالإلحاد الروحي، وهذا تقوم على نشره بين أبناء المسلمين مؤسسات شبه رسمية لا حصر لها، إذ هناك اليوم مؤسسات في بلاد المسلمين تسعى لنشر الإلحاد الروحي، فما هو إذن الإلحاد الروحي؟

### تعريف الإلحاد الروحي

يمثل الإلحاد الروحي جملة علوم العلاج بالطاقة وقانون الجذب والماكروبيوتك والعلاج بالألوان وكل هذه الخرافات، وستجد في كثير من بلاد المسلمين اليوم مراكز معها تراخيص رسمية للعلاج بالطاقة دون الانتباه من لطبيعة الممارسات التي تتم داخل هذه المراكز فِيظَنُّ أنها نوع من أنواع الطب البديل أو العلاج بالأعشاب أو رياضات بدنية للهدوء النفسي للعلاج، لكن، لنلقي نظرة على بدايات علوم العلاج بالطاقة ولماذا تُعتبر إلحاديًا روحياً؟

### نشأة علوم العلاج بالطاقة

الغرب يعاني من الجفاف الروحي بصورة غير مسبوقه في التاريخ البشري فقدوا الايمان الديني وأصبح الممارسون للمسيحية لا يتجاوزون الخمسة بالمائة، فأغلب الغرب اليوم من المسيحيين لا يذهبون للكنائس ولا



يهتمون بدينهم: فبدأ الغرب في استقدام ميثافيزيقيا بدون إلزام تكليفي، ميثافيزيقيا بدون حرام وحلال وصواب وخطأ.

وتعرفون المسيحية فيها بقايا نبوات فيها تشريع وتكليف: فالمسيحية تحرم الزنا بالتراضي وهذه من اكبر الجرائم ومخالفة للوصايا العشرة: المسيحية تحرم الاجهاض المتعمد، والمسيحية تأمر بغض البصر.

فهناك نوع من الإلزامات في المسيحية فخفت جانب الإلتزام الديني عند الغرب بصورة كبيرة جدا، فهم يحتاجون تغذية روحية لكن بدون كل هذه الالتمات القيمة، فكانت البوذية هي الإختيار الغربي، وكانت السم المغطى بالعسل: فالبوذية تقدم لك برنامجا روحيا بدون إلزام حلال وحرام، فقط استرخ وتنفس ثم قم وانطلق لعملك: بهذا انتشرت اليوجا والعلاج بالطاقة وقانون الجذب وكل هذه الأفكار البوذية في الغرب بصورة غريبة.

### ليس قانونا وإنما خرافة وعين الشرك

ما يتم تنفسه في جلسات الإسترخاء البوذية ليس هو الهواء وإنما هو الطاقة الكونية: المطلق الخالق، فالبوذية تؤمن بوحدة الوجود وبأن المخلوقات هي عين الخالق، وبأن الكون كله عبارة عن ذبذبات وأنت تستطيع القيام بتدريبات عقلية لتغيير الأقدار وهو ما يعرف بقانون الجذب: حيث يستطيع الإنسان بمجرد التركيز العقلي المجرد أن يغير من أقداره ومن مستقبله بل ومن مستقبل العالم، هكذا يتخيلون.

فأنت تجلس وتقوم بالتركيز الذهني على الحصول على ثروة فتأتيك هذه الثروة، فقانون الجذب يعني أن تضبط ذبذبتك بتركيزك العقلي على ذبذبة ما تريد من الكون من حولك فيأتيك -بزعمهم-، فتطلب ما تريد من الكون، والكون يلبي طلبك! وفكرة أن الكون عبارة عن ذبذبات وأن التركيز الذهني يغير ما حولك هذه الفكرة بوذية قلبا وقالبا، وهي فكرة وثنية إحادية: فالطلب من الكون إن لم يكن شركًا أكبر فما هو الشرك؟

فقد قال ربنا ﷺ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]، فأن تجعل لله ندا وتطلب منه فهذا عين الكفر والجنون العقلي، والعلم التجريبي ليس فيه هذا الهراء المسمى بـ"قانون الجذب"، يكفي أن الباحث المتخصص في فضح العلوم الزائفة "مايكل شيرمر" كتب بحثاً مطولاً في مجلة (الأمريكي العلمي) Scientific American يعني فيه هذه السخافة المسماة "قانون الجذب" وينعي دعائها بشدة فهم أقرب للمخابيل.<sup>٥٠</sup>

<sup>٥٠</sup> <https://www.scientificamerican.com/article/the-other-secret/>

ومن قال أن قانون الجذب يجلب نفعًا بذاته أو يدفع ضررًا بذاته فهذا قطعًا وقع في الشرك الأكبر المخرج من الإسلام، ومن قال أن قانون الجذب مجرد سبب جعله الله سببًا فهو بهذا قد وقع في شرك الأسباب: وهذا مفصل في أبواب العقيدة طبعًا، فقانون الجذب يدور بين الشرك الأكبر وشرك الأسباب.

والغريب أن بعض الأشخاص يروجون لقانون الجذب بدعوى أنه قضية علمية وأن الموضوع يخضع للفيزياء، وهذا من أكبر الدجل الذي ما سمعنا به من قبل، فقانون الجذب وضبط الذبذبة لا علاقة لهما بكل قوانين الفيزياء التي عرفها البشر عبر كل عصورهم، بل إن الفيزياء دائما تشرح عكس قانون الجذب تمامًا، ففي الفيزياء حين تهتز المادة فإنها لا يمكن أن تهتز إلا وفق ترددات محددة تعتمد على كتلة ومرونة الجسم، وليس لك أن تزيد الإهتزاز أو تنقصه إلا وفق قوانين فيزيائية مثل أن: تُغير من كتلة المادة: وهذه الإهتزازات التي تقوم بها المادة ليس لها خاصية الجذب أصلاً: فلا يوجد ما يُعرف بالجذب من خلال الذبذبة كما تفترض البوذية فهذا دجل فيزيائي، بل والمادة عند درجة الصفر المطلق لا تهتز بأي صورة لأن طاقة حركتها عند الصفر المطلق تكون مساوية للصفر، ثم إن افتراض كون الإنسان يقدر على جذب شيء فهذا افتراض كاذب، لأن جسم الإنسان ليست له كتلة معتبرة تستطيع جذب أي شيء أصلاً، والأعجب من ذلك أن شحنة الإنسان الكلية متعادلة، فلا هو يجذب شيئاً ولا يطرد.

إذاً الدجل المسمى بـ"قانون الجذب" هو محض كذب علمي وهراء على أعلى مستوى.

فلا الذبذبات والاهتزازات لها خاصية الجذب ولا الطاقة من خواصها الجذب، ولا كتلة الإنسان تسمح بأن يكون له خاصية جذب، وفوق ذلك فشحنة الإنسان الكهربائية متعادلة فلا هو يجذب ولا يطرد، وأما كون النية والتفكير والتركيز الشعوري تؤثر في العالم المادي كما تفترض البوذية فهذا أيضاً من هلاوس النساك وتخيلاتهم التي كانت تأتيهم من عبث الشيطان بعقولهم:

ففي واحدة من الأبحاث العلمية لتأثير النية والتركيز الشعوري على العالم من حولنا، أجرى علماء من جامعة كورنيل الشهيرة Cornell University تجربة على ارتباط النية والتفكير والتركيز الشعوري بإحداث تغيرات مادية، وتبين أن هذه الفكرة محض وهم.<sup>٥١</sup>، وقد صنفت مجلة (لايف ساينس العلمي) قانون الجذب كأحد العلوم الزائفة المنتشرة في الثقافة الشعبية.<sup>٥٢</sup> والمضحك أنهم يسمونه قانوناً مع عدم إمكانية إثباته ولا نقضه تجريبياً، فهو لا علاقة له بأركان وشروط القانون علمياً، لكن لا بد من المصطلحات العلمية حتى يدخلوا على البسطاء.

<sup>51</sup> <http://science.sciencemag.org/content/189/4201/478> (نقلا عن نقد علاجات الطاقة... مقالات موقع د. فوز كردي)

<sup>52</sup> <https://www.livescience.com/5303-pseudoscience-secret.html>

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [النحل: ٧٣]

للأسف أدخلت البوذية وخاصةً بوذية الماهيانا الكثير من الرموز والحركات والطقوس والممارسات، ونشأت حياة كاملة وفقاً لفلسفة البوذية، ونشأت مدارس العلاج بالطاقة. والعلاج بالأحجار الكريمة. والعلاج بالألوان. والعلاج بالأشكال الهندسية: وكل هذه المدارس تقوم على فكرة وجود طاقة كونية: يريد المتأمل البوذي أن يدخلها إلى بدنه، فبدأ في استخدام هذه الرموز والأشكال والألوان في إدخال الطاقة الكونية فظهرت جملة من التماثل والأصنام وانتشرت حتى بين المعالجين بالطاقة في بلاد المسلمين ورأيت لهم إعلانات ببيع بندولات الطاقة وأساور الطاقة بدعوى العلاج بالطاقة وهذه كلها أوهام وأكاذيب ما أنزل الله بها من سلطان.

قال النبي ﷺ: (لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان)<sup>٥٣</sup>

والمدهش أن العلاج بالطاقة في الفلسفة البوذية لا يوجد لهذه الطاقة التي يتم العلاج بها أي تعريف فيزيائي، فهي ليست الطاقة الكهرومغناطيسية ولا طاقة الجاذبية ولا غير ذلك من مفاهيم الطاقة في الفيزياء، فهي لفظة دينية عند البوذيين، فهي ليست توصيفاً لشيء علمي مادي يمكن اختباره أو تناوله أو التعامل معه: ولذلك تسمى الطاقة غير الفيزيائية Subtle non-physical Energy.

وقد تم تصنيف الطاقة الكونية باعتبارها علماً زائفاً<sup>٥٤</sup>: فليس لعلم العلاج بالطاقة والعلاج بالألوان والعلاج بالأحجار الكريمة والعلاج بالبندولات والعلاج بالأشكال الهندسية أي وجود علمي وإنما تخيلات وهمية قفزت إلى ذهن أحد نساك الهندوس في جلسة تأملية<sup>٥٥</sup>

إذا كان النبي ﷺ رأى رجلاً وفي يده حلقة من صُفْر فقال: ما هذا؟ قال: من الواهنة، قال ﷺ: (ما تزيدك إلا وهناً انبذها عنك فإنك إن تمتت وهي عليك وُكِلتَ عليها)<sup>٥٦</sup>، وفي رواية: (فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبداً)<sup>٥٧</sup>، هذا في قلادة تدفع عنه الواهنة.

فكيف بمن يزعم أن الطاقة الكونية تجلب كل شيء وتدفع كل ضرر، وتُلبس القلائد لاستجلابها ويجلس الناس داخل أشكال هرمية للانتفاع بها وتُشترى الأحجار الكريمة والبندولات والألوان الخاصة لتركيزها، وتُطبَّق ممارسات ورياضات من أجلها، وهي مصدر زيادة الصحة ووفرة المال ودفع الضرر عندهم، فما توصيف كل هذا بالله عليكم؟

<sup>٥٣</sup> صحيح سنن أبي داود، ج: ٤٢٥٢.

<sup>٥٤</sup> "Energy – (according to New Age thinking)"، The Skeptic's Dictionary، 2011-12-19.

<sup>٥٥</sup> "Some Notes on Wilhelm Reich، M.D"، Quackwatch.org، 15-02-2002.

<sup>٥٦</sup> صحيح ابن حبان، ج: ٦٠٨٥.

<sup>٥٧</sup> صحيح من رواية الهيثمي المكي، الزواجر، م ١ ص ١٦٦.

أليس هذا عين الكفر والوثنية والضلال والشرك الأكبر واتباع خرافات البوذية؟

قال ربنا ﷺ: ﴿قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ رَعِمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٥٦]، وقال ﷺ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]، وقال النبي ﷺ: (إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعْنَتْ فَاسْتَعْنِي بِاللَّهِ)<sup>٥٨</sup>، وقال رسول الله ﷺ: (إِنَّ الرُّقْيَ، وَالتَّمَانِمَ، وَالتَّوَلَةَ شُرَكَ)<sup>٥٩</sup>

واليوجا هي الأخرى في أصله تطبيق من تطبيقات التأملات البوذية والهندوسية الوثنية، فاليوجا تقوم على التأمل السكوني الطويل، وتهدف إلى التوحد مع المطلق، ومن يزعم أن اليوجا مفيدة صحيا فهذا خطأ، لأن أغلب طرق جلسة اليوجا معيبة صحيا وتسبب الخمول والذهول، وطول التعود عليها يؤدي إلى الارتباك والتشوش وفقدان الإحساس بالمكان والزمان، وهذا يضعف الذاكرة ويعجل بالزهايمر<sup>٦٠</sup>، فاليوجا فلسفة وليست مجرد رياضة<sup>٦١</sup> ولهذه الفلسفة ارتباط كامل بمفهوم الطاقة الكونية عند البوذيين وطاويين، كما يقرر ذلك قاموس أوكسفورد<sup>٦٢</sup>

وقد حاولت مؤسسات علمية تمحيص اليوجا والإستفادة منها عبر سنوات من البحث، وكانت النتيجة أن اليوجا ليست لها أية أهمية رياضية، وتم منعها من المدارس في أمريكا لانها تدرّس ديني: فمن أراد أن يجلس ليسترخ ويهدئ ذهنه، أو أن يمارس رياضة فلا بأس، لكن لا يُفقد ممارسات وثنية سخيطة! وهذا بجانب الماكروبيوتك وكل هذه الخرافات الوثنية القديمة.

هذا النوع من الممارسات اسمه إلحاد روحي: فالإلحاد الروحي من أساليب التغريب المنتشرة بين أبناء المسلمين وبنات المسلمين، بين الإلحاد الروحي والإلحاد المادي تجد الكثير من مشاريع التغريب في العالم الإسلامي كالنسوية والتنوير

**الإنكسار للغرب ومخلفاته**

قد تتعارض نصوص التراث الإسلامي في الدفن مع نصوص الدفن مثلاً لدى بعض البلدان الأفريقية، ومع نصوص التطهر أو الغذاء ونوعيته مثلاً لدى المدن الآسيوية الساحلية، لكن أحداً من هذه التعارضات لن يلقى مشكلةً.

<sup>٥٨</sup> سنن الترمذي، ح: ٢٥١٦، صحيح.<sup>٥٩</sup> صحيح الجامع، ح: ١٦٢٢.

60 An introduction to complementary medicine· Simon Borg Olivier· p.290(دهياف بنت ناصر الرشيد)

61 An Interpretation of the Keśin Hymn· (RV 10: 136).

62 Yoga in Indian traditions· however· is more than physical exercise; it has a meditative and spiritual core :Oxford Textbook of Spirituality in Healthcare· P.362

المشكلة هي أن تتعارض نصوص التراث الإسلامي مع أي من معطيات الغرب العلماني: هنا تصير المشكلة وهنا يحاول المتأثرين بالغرب في إيجاد التأويلات لعمل توافق بين الثقافة الغربية والتراث الإسلامي، وهذا الأمر من أخطر ما يكون لأنه أولاً قد يؤدي لإخراج النص عن سياقه وعن مراد الشرع منه، وقد يؤدي لإنكار ما أجمعت عليه الأمة، وقد يؤدي لخفوت التسليم للنص الشرعي في القلب مع الوقت.

فالمشكلة هي في ماذا؟ المشكلة في جعل القيم الغربية هي المركز وهذا رأس البلاء: فالتغريب هو يعتبر أن الغرب هو المركز وأن قيمه لا بد أن تكون عالمية، وتراثه لا بد أن يكون أصلاً وغيره تبع! إنها ببساطة ثقافة الغالب لا أكثر! فإذا انزاح الغرب عن المركز كما كان حاله قبل قرنٍ ونصف من الزمان أصبحت قيمه موضع تنذر لا تتبع وتسخيف لا إمعية وتحوير!

فالقضية هي انكسار الغرب واستسلام لمعطي الآخر طالما كان أقوى، فدعاة التغريب يعيشون لحظة انكسار للغرب

وما أعجب ما وصفهم الإمام الغزالي رحمه الله (توفي ٥٠٥ هجرية) حين قال: "أما بعد فإنني رأيت طائفةً يعتقدون في أنفسهم التميز عن الأتراب والنظراء، بمزيد الفطنة والذكاء، قد رفضوا وظائف الإسلام من العبادات، وإنما مصدر كفرهم سماعهم أسامي هائلة كسقراط وبقرات وأفلاطون وأرسطو وأمثالهم، وإطناط طوائف من متبعيهم وضلالهم في وصف عقولهم، وحسن أصولهم، ودقة علومهم الهندسية، والمنطقية، والطبيعية، والإلهية، فلما قرع ذلك سمعهم، ووافق ما حكى من عقائدهم طبعهم، تجملوا باعتقاد الكفر، تحيزاً إلى غمار الفضلاء بزعمهم، وانخرطوا في سلوكهم، وترفعاً عن مساعدة الجماهير والدهماء"<sup>٦٣</sup>

فالقضية هي انبهار بالآخر وانكسار لتسلطه الفكري، طوال قرونٍ مثلاً لم تكن ثمة إشكالية في عقوبة المرتد فلم يكن لدينا هذا الضغط على هذه النقطة وفجأة صارت هذه النقطة مشكلة ولا بد لها من ردود! وهذا لم يحدث إلا مع غلبة النموذج الغربي

حسناً، شخص سرق منك أموالك يعاقب في أيّ دستور، وكذلك شخص قتل ولدك يعاقب، ماذا عن شخص ضيّع عليك آخرتك، هل يستحق العقاب؟ فالغرب لما لا يعترف بالآخرة فيرى أن عقوبة المرتد مشكلة، لكن هي مشكلة عند الملحد وليس عند المؤمن، فلماذا تريد أن تحاكمني لتصوراتك عن الحياة؟ ولماذا تريد أن يكون تشريعك أيها العلماني هو التشريع الأوحى؟

<sup>٦٣</sup> تهافت الفلاسفة (ص ٤١)

التغريب فتنته أنه يريد محاكمتك له هو، لا كل مؤمن يؤمن بأن هناك دار آخرة يقرر أن المرتد الذي يريد أن يضيع علي آخرتي أخطر من القاتل والسارق، ففتنة التغريب تأتي من اتباع الرؤية العالمية للقيم والغاية من الوجود.

## دلائل صدق النبوة

## الدليل الأول: صدق الرسول

من بيّنات صدق الرسول أن يكون صادقاً، وهذا شرط بديهي.

والنبي محمد بن عبد الله ﷺ اشتهر بين الناس بالصدق، بل ولم يُعهد عليه كذب قط، ولم يُتهم أنه كذب في وقعةٍ واحدةٍ على تعدّد موافقه، وكثرة أخباره، وهذا باعتراف أشد الناس له عداوةً: فلم يُرمَ بكذبٍ ولو لمرةٍ واحدةٍ.

ورَدَ في البخاري أنّ كبار كفار قريش قالوا له في أول دعوته: "ما جربنا عليك إلا صدقاً"<sup>٦٤</sup>

فهذه هي البيّنة الأولى: أن يكون النبي صادقاً، وهذه البيّنة وحدها تكفي في إثبات صحة النبوة، فمدّعي النبوة إما أن يكون: أصدق الناس؛ لأنه نبيٌّ؛ فمن الطبيعي أن يكون أصدق الناس، وإما أن يكون أكذب الناس؛ لأنه يفترى كذباً في أعظم الأمور شأنًا.

ولا يختلط أصدق الناس بأكذب الناس إلا على أجهل الناس؛ وهذا كلام شيخ الإسلام ابن تيمية، حيث يقول ﷺ: "ليست المعجزة هي الشرط الأوحد للنبوة، فمدّعي النبوة إمّا أن يكون أصدق الصادقين أو أكذب الكاذبين، ولا يُلبس هذا بهذا إلا على أجهل الجاهلين"<sup>٦٥</sup>. انتهى

وقد أسلم السابقون الأولون أمثال أبي بكر الصديق وخديجة والمُبشّرين قبل انشقاق القمر، والإخبار بالغيب، والتحدي بالقرآن، وكثيرٌ من الناس يعلم صدق المُخبر بلا آية البتّة.

وموسى بن عمران ؑ لما جاء إلى مصر وقال لهم أنّ الله ﷻ أرسله، علموا صدقه قبل أن يُظهر لهم الآيات، وكذلك النبي ﷺ لما ذكّر حاله لخديجة، وذهبت به إلى ورقة بن نوفل، قال: "هذا النَّامُوسُ الذي أنزَلَ اللهُ على موسى"<sup>٦٦</sup>، وكذلك النجاشي وأبو بكر ؓ علموا صدقه علمًا ضروريًا لما أخبرهم بما جاء به، وما يعرفون من صدقه وأمانته.

فإذا عجز الكُفار عن إظهار كذبةٍ واحدةٍ في حياة النبي ﷺ، بل ويعترفون أنّهم ما جربوا عليه الكذب أبدًا

<sup>٦٤</sup> الراوي: عبدالله بن عباس | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري: الصفحة أو الرقم: ٤٧٧٠ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

<sup>٦٥</sup> ثبوت النبوات – ابن تيمية (ص ٥٧٣)

<sup>٦٦</sup> الراوي: عائشة أم المؤمنين | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري: الصفحة أو الرقم: ٣٣٩٢ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

إذا عَجَزُوا عن ذلك، فيلزمهم أن ينظروا في خبر نبوته، وليس الإسراع في تكذيبه!

ولذلك اشتدَّ لوم القرآن الكريم على كفار قريش؛ لأنهم من المفترض أنهم يعلمون حاله قبل بعثته، وأنه الصادق والأمين، قال ربُّنا ﷺ: ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٩]

### الدليل الثاني: الإتيان بما أتى به من سبقه من الأنبياء

من دلائل صدق النبوة أن يأتي الرسول بما أتى به الأنبياء من قبله مما يوافق الفطرة من التوحيد النقي ومن المبادئ الأخلاقية.

### مما يوافق الفطرة من التوحيد الخالص

مما هو موافق للفطرة كالتوحيد -توحيد الله ﷻ: فالإنسان بفطرته لو نظر إلى الكون لن يستوعب له إلا خالقًا واحدًا، ولن تفتقر إلى ذهنه أية صورة من صور الآلهة الأرضية الوثنية أو التصورات الشركية، وكل الشرائع في كل تاريخ الأرض بدأت توحيدية تؤمن بالله الواحد، كما فصلنا من قبل.

فالتوحيد قضية فطرية وهو خطاب كل الأنبياء: قال الله ﷻ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]

فكل الأنبياء أتوا بهذا التوحيد الفطري، ولم يكن النبي ﷺ بدعًا من الرسل يأتي بما يخالف هذه العقيدة التوحيدية النقية، بل دعا لنفس التوحيد النقي الذي جاء له كل الأنبياء: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَا مِّنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٩]، فكل الأنبياء أتوا بالتوحيد، ولم يبقَ على هذا التوحيد اليوم سوى الإسلام، فهو دين الله الوحيد الباقي على الأرض: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]

إذَّ البينة الثانية على صدق الرسول أن يأتي بما يوافق الفطرة من التوحيد النقي.

### مما يوافق المبادئ الأخلاقية

كان النبي ﷺ كان صاحب المثل الأوفى في هذا، وقد أوضح جعفر بن أبي طالب ﷺ كمال الأخلاق التي أتى بها النبي ﷺ في حوار مع النجاشي حين قال للنجاشي مختصرًا ما جاء به الإسلام من كمالات الفطرة: "أيها الملك، كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ، نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ، وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقَطَعُ الْأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجَوَارِ، يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِمَّا الضَّعِيفُ، فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مَّا نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ، وَأَمَانَتَهُ وَغَفَاةَهُ، فَدَعَانَا إِلَى اللَّهِ



لِنُوجِدَهُ وَنَعْبُدَهُ وَنَخْلَعُ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَأَبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الْحَجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ، وَأَمَرْنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَحُسْنِ الْجَوَارِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ وَالِدِمَاءِ، وَنَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِشِ، وَقَوْلِ الزُّورِ، وَأَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ، وَأَمَرْنَا أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَأَمَرْنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ... إِلَى آخِرِ الْحَدِيثِ"<sup>٦٧</sup>

فقد أتى الإسلام بما يوافق الفطرة من كمال التوحيد ومبادئ القيم الأخلاقية!

### الدليل الثالث: استحالة الإتيان بنص شرعي محال عقليا

من بينات صدق النبي ألا يأتي النبي بنص شرعي واحدٍ يحمل مُحالًا عقليًا واحدًا: فلا تكون في نصوص الشرع مُحالات عقلية، هذا أمر طبيعي؛ إذ لو كان هذا الشرع وحيًا من الله فلن يكون فيه محال عقلي واحد.

وقد قال عز من قائل مؤكدًا هذه القضية العقلية: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢] فيستحيل أن يوجد في الدين الحق اختلافٌ أو تعارضٌ بين نص شرعي وبين بديهية عقلية!

فالدين الحق لا يأتي أبدًا بمحالات العقول، لكن الدين الحق قد يأتي بمحارات العقول:

نعم يستحيل أن يأتي الدين بالمحالات؛ لكن قد يأتي بالمتشابهات، وهذا من التكليف: حتى يتبع أهل الهوى والذين يريدون الكفر هذا المتشابه؛ بينما يثبت أهل الحق على اليقين؛ لما في الدين من براهين ومحكمات على صحة الرسالة!

قال ربنا ﷺ: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ [آل عمران: ٧]

وقال ﷺ: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦]

<sup>٦٧</sup> الراوي: أم سلمة أم المؤمنين | المحدث: الوادعي | المصدر: صحيح دلالات النبوة: الصفحة أو الرقم: ٩٦ | خلاصة حكم المحدث: حسن

وقال ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَعَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾﴾ [الحج: ٥٢-٥٣]

﴿إِذَا تَمَعَّى﴾ تعني: إذا قرأ النبي ما أنزل الله عليه، قام الشيطان بإلقاء الوسوس والشبهات في قراءته.

فمن الطبيعي أن يكون هناك متشابه حتى يكون هناك إيمان وكفر، والمؤمن يُحيل هذا المتشابه إلى المحكمات، والمحكمات هي: القطعيات، فالمؤمن يحيل المتشابه إلى المحكم!

### أمثلة على النص القرآني المتشابه والمحكم

١. المثال الأول: مثال على ذلك في قوله ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّبِيَّانَ مِنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلْ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢]

هذا النص متشابه: فاليهود والنصارى والصابئون لو آمنوا بالله وعملوا صالحًا لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

والسؤال هنا: بعد بعثة محمد ﷺ هل يلزمهم الإيمان بنبوته أم يكفيهم الإيمان بأنبيائهم؟ الآية هنا لم توضح هذا الأمر، فهذا متشابه. والمسلم هنا يقوم برّد هذا المتشابه إلى المحكم!

ما هو المُحكم في هذا الأمر؟ المحكم قوله ﷺ: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]

إذْ نَ أُلْنَا المتشابه الذي لم نفهمه في الآية الأولى إلى المحكم في الآية الثانية؛ والتي تقطع بها بأنه بعد بعثة محمد ﷺ لن يقبل إيمان بشر إذا لم يؤمن بنبوته ﷺ! فهنا نستوعب المتشابه بمجرد رده إلى المحكم!

٢. المثال الثاني: مثال آخر على المتشابه والمُحكم وهو قول الله ﷻ: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ

فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ [الكهف: ٨٦]، فهذه الآية في غروب الشمس لا تكون إلا في عين الرائي، وليس أنها تسقط

داخل عين وقت الغروب، لماذا؟ لأن المُحكم يخبرنا أن الشمس تجري في فلكٍ لا تتوقف: ﴿وَهُوَ الَّذِي

خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٣]

إذْنٌ بإحالة المتشابه إلى المحكم نستوعب المعنى الصحيح للمتشابه، وتختفي جُلُّ الشبهات ذاتياً.

فالمسلم يحيل المتشابه إلى المحكم، بينما الذي يريد الزيغ يتبع هذا المتشابه، ويتجاهل المحكم ليبقى على زيغه.

إذْنٌ فالدين الحق، والرسالة الصحيحة تأتي بالمتشابهات، تأتي بمحارات العقول، لكن لا تأتي أبداً بمحالات العقول ويستحيل أن تجد نصاً شرعياً واحداً يخالف بديهياً عقليةً أو علميةً واحدة.

#### الدليل الرابع: معجزات النبي وبشارات من سبقه من الأنبياء به

هنالك بَيِّنَةٌ إضافية، لكنها لو حصلت لكانت قطعياً على صحة الدين، وصدق النبي، ألا وهي: حصول المعجزات على يد النبي وبشارات الأنبياء به قبل بعثته.

وقد وقعت على يد النبي محمد ﷺ أكثر من ألف معجزة صحيحة ثابتة، والعهد بهذه المعجزات قريب، والذين نقلوها هم أصدق الناس وأزكاهم أخلاقاً، وكانوا لا يجيزون الكذب عليه في أبسط الأشياء، فهم يعلمون أن من كذب عليه متمعداً فليتبوأ مقعده من النار، وبعض معجزاته شهدها مئات الصحابة، فهي معجزات بلغت حد التواتر.

والتواتر يعني: أن ينقل عدد كبير من الناس خبراً من الأخبار، بحيث تحيل العادة تواطؤهم على الكذب، فالتواتر يفيد العلم اليقيني القطعي.

وهناك بالفعل معجزات كثيرة نقلها عدد كبير من الصحابة إلى مئات وآلاف التابعين، مثل:

- أحاديث تكثير الطعام القليل: بحيث أن طعاماً يكفي لشخصين اثنين في غزوة الخندق يدعو فيه النبي ﷺ بالبركة فيطعم منه الجيش كله، وأحاديث تكثير الطعام أوردتها البخاري في خمسة مواضع من صحيحه، لعظمة هذه المعجزة ولكونها متواترة فقد رآها مئات بأعم أعينهم.
- أحاديث استجابة الدعاء: وهناك مائة وخمسون حديثاً يدعو فيهم النبي ﷺ ربّه، ويُجاب في الحال والناس يشهدون.

وقد تحدّى ﷺ أهل الدنيا بالقرآن الكريم، فلم يجدوا إلا السيف ليُسكتوه به، فالمعجزات والآيات والبيّنات التي أتى بها ﷺ كثيرة، والبشارات به في كتب أهل الكتاب عجيبة، وسوف نتناول بعض هذه المعجزات، وبعض هذه البشارات بالتفصيل في ثنايا الصفحات القادمة.

## الدليل الخامس: تأييد الله للنبي

أما البيّنة الخامسة من بيّنات صدق النبي فهي أن يكون النبي مؤيّدًا من قبل الله ﷻ، ولا يلزم هنا التأييد الدنيوي المادي بالفتوح والانتصارات، لكن المقصود أن تنتصر حُجّة النبي وتنتصر براهين صحة رسالته.

والنبي ﷺ في باب التأييد بالحُجة والبرهان لم يأت كافر واحد على كثرة الكفار ورغبتهم في استئصال شأفة الإسلام، لم يأتوا بتناقض واحد في نص شرعي واحد.

وحاز النبي ﷺ إلى جانب تأييد الحُجة والبرهان، حاز تأييد النصر والتمكين بالفتوح، وقد أخبر الله عز وجل بنصر نبيه، وأخبر بسيادة دينه وانتشاره، في الوقت الذي كانت فيه ديانات العرب قائمة، وملوكهم على جزيرة العرب مستولية، وكانت ممالك الهند وكسرى والقسطنطينية مما لا يحلم العرب أن يروها فضلاً عن أن تنتشر كلمتهم فيها، وكانوا يعتبرون انتصاره من قبيل هدم الجبال الشّم الرواسي بريشة تطير.

فانتصر ﷺ، وظهرت دعوته ولم يمُت حتى أتمّ الشريعة، وأكمل الرسالة، ونزل قول الله ﷻ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]

ونزلت سورة النصر: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾﴾ [النصر: ١-٣]، وفي هذه السورة إشعار بأنه قد فرغ من مهمته في الدنيا.

وبعد نزول هذه السورة قال النبي ﷺ للناس: (إِنَّ عَبْدًا خَيَّرَهُ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا مَا شَاءَ، وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَهُ)<sup>٦٨</sup>، فعلم أبو بكر أن المُخَيَّر هو النبي ﷺ؛ فبكى!

وقبل وفاة النبي ﷺ بيوماً واحداً -يوم الأحد-، تصدّق بكل ما عنده من مالٍ وكانوا سبعة دنانير، ووهب المسلمين سلاحه، وكانت درعهُ مرهونةً عند يهودي بثلاثين صاعاً من شعير، ودعا ﷺ فاطمة ؓ: فسارها بشيء فبكت، ثم سارها بشيء فضحكت، قال لها في الأولى: أنه يموت في مرضه هذا فبكت، وقال لها في الثانية: أنها أولُ أهله لحوقاً به فضحكت: وقد حدث ما أخبر به ﷺ، حيث مات في مرضه هذا وكانت فاطمة أولُ أهله لحوقاً به.

وعندما بدأ الاحتضارُ بالحبيب ﷺ بعد هذه الكلمات، جعل يُدخل يديه في الماء، ويمسح بهما وجهه، ويقول: لا إله إلا الله إن للموت لسكرات، ثم رفع يديه أو إصبعه وتحركت شفتاه، فأصغت إليه عائشة ؓ فسمعتة يقول: ﴿مَعَ

<sup>٦٨</sup> الراوي: أبو سعيد الخدري | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري: الصفحة أو الرقم: ٣٩٠٤ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

اللَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ﴿النساء: ٦٩﴾، اللهم اغفر لي وارحمني وألحني بالرفيق الأعلى، اللهم الرفيق الأعلى<sup>٦٩</sup>، وكرّر الكلمة الأخيرة ثلاثاً، وفاضت روحه، ولحق بالرفيق الأعلى.

فقد مات ﷺ بعد أن أيد بالحجة والبرهان والنصر والتمكين!

إن التسليم لصدق هذا النبي وصحة رسالته وتأييد الله له، والله هو رشاد العقل، وتمام الحكمة، وكمال النظر.

---

<sup>٦٩</sup> الراوي: عائشة أم المؤمنين | المحدث: الألباني | المصدر: صحيح الترمذي | الصفحة أو الرقم: ٣٤٩٦ | خلاصة حكم المحدث: صحيح

## أيهما أكرم للمرأة: الإسلام أم الإلحاد؟

قال تشارلز داروين بالحرف الواحد: "الفارق الفكري الكبير لصالح الرجل على المرأة يجعله دومًا في مكانه أعلى من المرأة" انتهى<sup>٧٠</sup>، وقال في موضع آخر من كتابه (نشأة الإنسان): "الرجل في نهاية المطاف متفوق تمامًا على المرأة... أعلى من المرأة" انتهى<sup>٧١</sup>، فهذا هو تأصيل صورة المرأة في الإلحاد، وهي الصورة التي لا يعرف عنها الملاحظة الكثير.

وهنا قد يقول قائل: 'لما تُلزم الملحدين بكلام داروين؟' والحُجة ليست في داروين، الحجة في أن هذه هي النظرة الإلحادية للمرأة؛ سواءً صدرت عن داروين أو غير داروين أو حتى لم يقلها ملحد.

## تعريف المرأة حسب الفكر الإلحادي

- المرأة تطابق الغوريلا: المرأة إلحاديًا تُطابق الغوريلا، وأنا أعتذر عن هذا الكلام العنصري الوقح، لكنها الرؤية الإلحادية للمرأة، وينقل هذه الرؤية الملحد التطوري الشهير ستيفن جاي جولد، والذي يُعد أشهر منظري نظرية التطور في القرن العشرين، إذ ينقل ستيفن جاي جولد عن منظرين آخرين للنظرية أن: "المرأة تطابق الغوريلا على العكس من الرجل، هي في مرحلة أدنى تطوريًا من الرجل، إنَّ دونية المرأة لا مجال للجدال فيها، لكن الجدل في درجة هذه الدونية" انتهى<sup>٧٢</sup>: يتحدث عن دونية المرأة.

تخيّل! ويعتبر أنَّ دونية المرأة شيء بديهي في الإلحاد، لكن الجدل فقط هو في درجة هذه الدونية، فهذه هي النظرة الإلحادية للمرأة.

- المرأة حيوان ظهر على شجرة التطور: المرأة والرجل في الإلحاد هما عبارة عن حيواناتٍ ظهرت على شجرة التطور، فهل هذا ينكره ملحد؟ فالمرأة على شجرة التطور "لها تصنيف كحيوان مختلف عن تصنيف الرجل" انتهى<sup>٧٣</sup>

70 "The chief distinction in the intellectual powers of the two sexes is shown by man attaining to a higher eminence, in whatever he takes up, than woman can attain—whether requiring deep thought, reason, or imagination, or merely the use of the senses and hands...."

The Descent of Man, (1871), vol. 2, pp. 327.

71 "...Thus man has ultimately become superior to woman. It is, indeed, fortunate that the law of the equal transmission of characters to both sexes has commonly prevailed throughout the whole class of mammals; otherwise it is probable that man would have become as superior in mental endowment to woman, as the peacock is in ornamental plumage to the peahen."

The Descent of Man, (1871), vol. 2, pp. 328 – 329.

٧٢ large number of women whose brains are closer in size to those of gorillas than to the most developed male brains. This inferiority is so obvious that no one can contest it for a moment; only its degree is worth discussion.

Gould, The Mismeasure of Man, p.104, 105

٧٣ Anatomists identified man as 'homo frontalis' and woman as 'homo parietalis'.

- المرأة حيوان جميل: "لقد تحوّلت المرأة في الإلحاد من إنسان مميز إلى حيوان جميل" انتهى<sup>٧٤</sup>
- المرأة العجوز بلا قيمة لا مانع من قتلها: فإذا أصبحت المرأة عجوزًا فهي إلهاديًا أقلُّ شيء نحتاج إليه في هذا العالم؛ لذلك إلهاديًا لا مانع من قتلها، كما أنه لا مانع من قتل المرضى والمعاقين، وقد حدث هذا الكلام بحرفه قبل أقل من ثمانين عامًا في معسكر أكشن تي فور، حيث قُتل ٣٠٠ ألف إنسان؛ لأنهم بلا قيمة، ولا فائدة، فهذه الأفواه التي تأكل ولا تعمل 'Useless Eaters' يجب التخلص منها سريعًا في العالم الإلهادي المادي، وقد شمل قرار القتل: كبار السن، والمرضى، والمعاقين، فلقد أقام الإلحاد معسكرات إبادة لكل من لا نحتاج إليهم.

هذا هو الإلحاد حين كان يُطبَّق على أرض الواقع، وبالمناسبة: ما زالت فكرة قتل المرضى وكبار السن من الرجال والنساء مسيطرةً على العقل الغربي حتى اليوم، وكل فترة نسمع عن مُمرضة قتلت مجموعة من المرضى في المستشفيات، فالفكرة الإلهادية ماديّة تُطبَّق في أي وقت خفتت فيه بقايا النبوات في الغرب.

### مكانة المرأة في الإسلام

### تكريم المرأة في الإسلام

أما على الجانب الآخر، ففي الإسلام تمثل المرأة رمزًا، وكائنًا ذا قيمة غير عادية، فهي تُعامل بخجل واحترام وتوقير غير طبيعي.

الجنة تحت أقدامها: تخيل أن الجنة تحت أقدامها! فقد أتى رجل ليجاهد مع النبي ﷺ، فقال له النبي ﷺ:

(وَيْحَكَ أَحْيَاءُ أُمَّكَ؟) قال الرجل: قُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: (وَيْحَكَ الزَّمَّ رَجُلَهَا فَنَمَّ الْجَنَّةُ)<sup>٧٥</sup>، فلقد أمره النبي ﷺ ألا يتزك هذه المسكينة وحدها في الحياة، ثم يذهب ليجاهد، فإذا أراد الجنة بجهاده، فالجنة عند رجليها.

أغلب الإهتمام من نصيبها: في الإسلام: ثلاثة أرباع الإهتمام يكون للمرأة، والرابع للرجل، فقد جاء رجل إلى

رسول الله ﷺ فقال: "يا رسول الله، من أحقَّ النَّاسِ بحُسْنِ صَحَابَتِي؟" قال: (أُمَّكَ)، قال: "ثُمَّ مَنْ؟" قال: (ثُمَّ أُمَّكَ)، قال: "ثُمَّ مَنْ؟" قال: (ثُمَّ أُمَّكَ)، قال: "ثُمَّ مَنْ؟" قال: (ثُمَّ أُمَّكَ)<sup>٧٦</sup>

<sup>٧٤</sup> علي عزت بيجوفيتش، الإسلام بين الشرق والغرب.

<sup>٧٥</sup> صحيح سنن ابن ماجه، ح: ٢٢٥٩.

<sup>٧٦</sup> متفق عليه... صحيح البخاري، ح: ٥٩٧١... وصحيح مسلم، ح: ٢٥٤٨.

يُحاسب الرجل إذا قصر في حقها: والعلاقة بين الرجل والمرأة في الإسلام علاقة عَهْدٍ، سيُسأل عنه الرجل

لو قصر فيه، قال الله تعالى: ﴿وَأَخَذْنَا مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [النساء: ٢١]، فالنساء أخذن من الرجال عهدًا

شديدًا بالقيام بحقوقهنَّ والرعاية والحماية والإحاطة من كل سوء، وقال الله تعالى مؤكدًا على حق المرأة

في العشرة الطيبة الكريمة: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩].

يفسر الإمام السعدي رحمه الله هذه الآية بقوله: "والعشرة بالمعروف تشمل: المعاشرة القولية والفعالية، وكفَّ

الأذى، وبذل الإحسان، وحسن المعاملة، والنفقة والكسوة وفي حال حصلت كراهية طبيعية بين الرجل وامرأته، فإن الله تعالى يوصي الرجل بالإمساك بزوجته، فربما تزول الكراهية وتخلفها المحبة، وربما رُزق

منها ولدًا صالحًا" انتهى<sup>٧٧</sup>، ولهذا قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُنَّ شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا

كثيرًا﴾ [النساء: ١٩]، فالإسلام يعلمنا احترام الزوجة، والصبر عليها، ويدفع الإسلام نحو الاستقرار، واستدامة

المودة.

وقال الله تعالى في حال انتهت الأمور إلى الطلاق: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، أي

تنتظر المطلقة ثلاثة شهور، فربما عواطف تظهر أو مودة تعود، وكل هذا لمصلحة البيت ولنفسية المرأة واستقرارها.

خير الناس من أحسن إلى المرأة: وقال رسول الله ﷺ: (خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي)<sup>٧٨</sup>، أي

فخيركم الذي يفي بحق أهله.

المرأة والرجل متكاملان: وقال ﷺ: (إنما النساء شقائق الرجال)<sup>٧٩</sup>

## مكاند الفكر الإلحادي

من شؤم الإلحاد العربي أنه اصطدم بالإسلام، فلم يجد فيه ما يجعله ينفر المرأة من هذا الدين القويم، فصنع الإلحاد الأكاذيب حول الإسلام، وتعلل ببعض حالات ظلم وقعت للمرأة، واستغل الإلحاد هذه الحالات وأظهرها على أنها الإسلام، فهذه لعبة سخيفة يضحك بها الإلحاد على من تُردن الكفر فقط، أما أية امرأة تحتم إلى نصوص الشرع مباشرة، فلن تجد فيه إلا العدل كله والرحمة كلها.

<sup>٧٧</sup> تفسير السعدي.

<sup>٧٨</sup> صحيح سنن الترمذي، ج: ٣٨٩٥.

<sup>٧٩</sup> صحيح سنن أبي داود، ج: ٢٣٦.



## المرأة بين جاهليتي الماضي والحاضر

## حال المرأة قبل الإسلام

انظر ماذا كان يحصل قبل أن يُشرف الله الإنسانية بالإسلام:

انتهاك مُشين لعرضها: "كان يجتمع مجموعة من الرجال "فَيَدْخُلُونَ عَلَى الْمَرْأَةِ". حيث "يَجْتَمِعُ الرَّهْطُ مَا دُونَ الْعَشْرَةِ، فَيَدْخُلُونَ عَلَى الْمَرْأَةِ، كُلُّهُمْ يُصِيبُهَا" انتهى<sup>٨٠</sup>

المرأة دون الرجل: قال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- في الحديث المتفق على صحته واصفاً حال المرأة قبل الإسلام: "والله إن كُنَّا فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَا نَعُدُّ لِلنِّسَاءِ أَمْرًا، حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِنَّ مَا أَنْزَلَ، وَقَسَمَ لَهُنَّ مَا قَسَمَ" انتهى<sup>٨١</sup>، فلم يكن لهنَّ قيمة.

- المرأة مُهْمَشَةٌ تُحْرَمُ مَا يَتَمَتَّعُ بِهِ الرَّجُلُ حَتَّى مِنَ الطَّعَامِ: كانت المرأة تُورَث كما يُورَث المتاع، وكانت بعض الأطعمة تُمنع للنساء من أكلها، ويختصُّ بأكلها الرجال فقط، كما قال الله ﷻ: ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ

هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِدُكُونِنَا وَمُحْرَمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا ۗ﴾ [الأنعام: ١٣٩]

- إنجاب الأنثى عار ويجب وأدها: كانت مصيبة الرجل في الجاهلية أن تُنجب زوجته أنثى! قال الله ﷻ:

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ

هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [النحل: ٥٨-٥٩]، ويقول صَعَصَعَةُ بن نَاجِيَةَ: " جاء الإسلام، وقد

فديت ثلاثمائة موعودة" انتهى<sup>٨٢</sup>

## جذور الماضي تتشعب في الحاضر

وبالمناسبة مازالت فكرة قتل الأجنة منتشرة في الغرب حتى اليوم، فالغرب يعيش حالة من الجاهلية الأولى. واليوم يحق قانونياً للأُم أن تقتل جنينها خاصةً إذا كانت أنثى، وهناك مئات الملايين من الأجنة قُتلَت في الأعوام القليلة الماضية منذ مطلع الألفية الثالثة فقط، كما فصَّلت قبل ذلك<sup>٨٣</sup>.

<sup>٨٠</sup> صحيح البخاري، ج: ٥١٢٧.

<sup>٨١</sup> صحيح البخاري، ج: ٤٩١٣.

<sup>٨٢</sup> الإصباية، ٣-٣٤٧.

نقلًا عن كتاب: اللولو المكنون في سيرة النبي المأمون، موسى بن راشد العازمي.

<sup>٨٣</sup> <https://www.worldometers.info/abortions/>

في هذا العالم الحالك السواد قديماً وحديثاً ظَهَرَ نُوْرُ الإسلام، وأنزل الله ﷻ كتابه؛ لِيُصَحِّحَ كل هذا الفساد والظلم والفجور وليصحح كل هذا الأذى بحق الطفلة المسكينة التي يتمُّ قتلها؛ لأنها غير مرغوب فيها، والظلم والأذى بحق الفتاة البالغة التي تتمُّ المتاجرة بجسدها.

لقد أصبحت المتاجرة بأجساد الفتيات البالغات قاعدةً ثابتةً في الغرب اليوم، فمن جاهلية نكاح الاستبضاع إلى جاهلية الغرب اليوم الذي يتمُّ فيه تسليط الكاميرات على كل تفصييلة في جسد المرأة من أجل الترويج لسلعة أو ماكينة حلقة أو عبوة شاي أو سيارة، فيتمُّ استخدام جسدها في حالة من الرخص والاحتقار لقيمة المرأة لم يحصل لها مثل حتى في زمن الجاهلية الأول.

## حفظ الإسلام للمرأة

### حفظها من البهتان

فالإسلام أتى ليحفظ الأنثى جنيناً وفتاةً وبالغةً وعجوزاً، وأتى ليمنع أن تؤذى المرأة ولو بكلمة، قال الله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨].

### حفظها من التجارة بجسدها

وقال ﷻ: ﴿وَلَا تُكْرَهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ﴾ [النور: ٣٣]، وقال ﷻ: ﴿سَرُّ الْكَسْبِ مَهْرُ الْبَغْيِ﴾<sup>١٤</sup> فشر الكسب أن تتم المتاجرة بجسدها، ثم إن الإسلام يقول للمرأة تحببي حتى يكون عقلك هو المتحدث الرسمي عنك وليس الجسد، قال الله تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبَنَّ بِحُجْرَتِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]، فهذه عفة وستر لكيان المرأة عن أن يُبتذل رخيصاً.

### حفظها كزوجة

والإسلام حفظ المرأة وهي زوجة فقال الله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلِيهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٢٨] للمرأة ما للرجل من حقوق وواجبات: ﴿لَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلِيهِنَّ﴾ وأصبح للمرأة في الإسلام نمة مالية مستقلة عن الرجل، فهي تستطيع أن تبيع وتشتري وتتاجر ويكون المال باسمها، وهذا يحصل لأول مرة في الإسلام، ولم يحصل هذا الأمر في أوروبا إلا سنة ١٩٣٨ ميلادية، فلم يكن للمرأة الحق في حيازة المال باسمها حتى عام ١٩٣٨ ميلادية.

١٤ صحیح مسلم، ج: ١٥٦٨.

## حفظ ميراثها

والمرأة في الإسلام لها ميراث من المال كما للرجل ميراث من المال: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ [النساء: ٧]، لقد ظهرت هذه الحقوق للمرأة في وقتٍ لم يكن لهن أي قدر.

## حفظها كيتيمة

والإسلام حفظ الأنثى يتيمة، فكانت اليتيمة تُورث بمالها لمن يُربيها، وكان الرجل يتزوجها ولا يدفع لها مهرًا؛ لأنها يتيمة، فنزل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾ [النساء: ٣]، أي: وإن خفتُم أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ: إن خفتُم أَلَّا تَعْدِلُوا مَعَ الْيَتِيمَةِ، فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ: إن خفت أن تظلم اليتيمة فلا تعطها حقها، فانكح غيرها كما تحب، مثنى وثلاث ورباع، واترك هذه لمن يعطيها حقها كاملاً، اتركها لمن يُكرمها.

## حفظ حقوقها وواجباتها

والمرأة في الإسلام لها قيمة كاملة، فلها ما للرجل من الحقوق، وعليها ما على الرجل من التكاليفات، ولها ما للرجل من الأجر: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَشِيعِينَ وَالْخَشِيعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّيْمِينَ وَالصَّيْمَاتِ وَالْحَفِظِينَ وَالْحَفِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥]

وقال الله ﷻ: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنثِي بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾ [آل عمران:

١٩٥]، فهُم مُتَسَاوُونَ فِي التَّكْلِيفِ، وَفِي الْأَجْرِ!

## جبر خاطرها

انظر لجبر خاطر المرأة في الإسلام وصل لأي مدى، قال الله ﷻ: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمْ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدَرُهُ مَتَّعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة:

٢٣٦]، فمن طَلَّق امرأةً قبل أن يمَسَّها وقيل أن يفرض لها المهر، فعليه أن يعطيها من المال ما يجبر به خاطرها. مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ: فكما تسببت في اشتياقها إليك، فعليك أن تجبر خاطرها! فهذه دقائق في حق المرأة لا يغفل عنها وحي الله إلى البشر.

### حفظها من الدونية عن الذكر

وانظر لحفظ قيمة البنت من قضية حب الوالدين للولد على البنت، فتجد في الإسلام أنه لا يصح أن تقول: 'بالرِّفاء والبنين'، لأنَّ هذا قولٌ من أقوال الجاهلية الذين كانوا يُفضّلون البنين على البنات، فالإسلام جاء بإكرام الأنثى جنينًا، وبالغَةَ، وبتيمَّة، وأمًّا، وزوجةً، وعجوزًا: فنظرة المسلم للمرأة نظرة سويَّة نفسيًّا، وسويَّة أخلاقيًّا.

### متناقضين فأيهما أحق أن يتبع؟

أما النظرة الإلحادية المادية للمرأة فهي كما فصلنا تتعامل معها كحيوان جميل لا أكثر، ولذلك كانت أعلى معدلات اغتصاب في العالم في أكثر الدول ماديةً وإلحادًا، حيث تنظر للمرأة كجسد مادي للمتعة المجردة، ووصلت معدلات التحرش في المواصلات في بلد ينتشر فيها الإلحاد بشدة كفرنسا إلى ١٠٠%، فلما نظروا للمرأة نظرة مادية، فقدت قيمتها وأصبحت سلعة ولعبة.

والمادية المُلحدة أغرت المرأة بأن تفعل ما يُطلب منها من أجل زيادة رصيدها البنكي، ففقدت المرأة خصوصيتها، وتحولت مع الوقت لسلعة! فإذا تمكن دعاة الإلحاد من المرأة فسد المجتمع، فالمرأة شئنا أو أبينا هي التي تُرضع ابنها القِيم أو الضياع.

المشكلة أنَّ دعاة الإلحاد يشتغلون على المرأة منذ سنوات، وهم يتصورون لنظرتهم المادية العنصرية أنَّ المرأة ضعيفة، وأنَّ مخها ضعيف، وبالتالي سوف تستسلم بسهولة ولا يعرفون أنَّ المرأة هي من أصعب الحلقات التي تستعصي على الفلسفات الكفرية، ولذلك فأقل نسب إلحاد في العالم الإسلامي كمثل موجودة بين النساء، فالمرأة ليس عندها اندفاعية الرجل في التحولات الفكرية المفاجأة، وهي تجد الأمان في الحقوق التي يكفلها الدين، في حين أنها تفقد الأمان تمامًا مع عبثية وعدمية النظرة الإلحادية للعالم؛ لذلك يقلُّ التحول للإلحاد في مجتمع النساء.

فالإلحاد يطلب ضريبة لا تستطيع المرأة أن تدفعها؛ لأن أول قسط من هذه الضريبة هو فقدان الأمان للأبد، وفقدان الغاية، وفقدان الفطرة التي فطرت عليها... فطرة أننا مكلفون، وأنَّ لتكليفنا غايةً ومصيرًا ونتيجةً، تلك الفطرة التي فطرنا عليها جميعًا، فطرة التكليف، وفطرة اللجوء إلى الله وطلب المدد والأمان من عنايته وحفظه تعالى.

فهل هناك دين أو فلسفة أو فكر يحقق للمرأة كيانها كالإسلام؟ هل هناك دين كالإسلام يحثُّ النساء على طلب العلم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ هل هناك دين أو فلسفة أو فكر يحفظ المرأة من كل فكرة شاذة في خاطر الرجل؟ هل هناك دين أو فلسفة أو فكر غير الإسلام يحفظ المرأة جنينًا وطفلةً وبالغَةً ویتيمَةً وأماً وزوجةً وعجوزًا؟

لا والله لا يوجد! فالإسلام عدلٌ كله، ورحمةٌ كله، وحكمةٌ كله، ولم يضعف انتشار الإسلام إلا بكثرة معاصي المنتسبين له، وعدم تطبيقهم لجمالية هذا الدين في حياتهم الخاصة والعامة.

## ما هي الوسواس القهري في العقيدة؟

فالوسواس القهري في العقيدة قد انتشرت هذه الأيام لأسباب عدة، وفي هذه الورقات نتعرف على كيفية التعامل مع هذه الوسواس، وما هي أسباب انتشارها، وكيف تنفادى حصولها من البداية، وأوصي بنشر هذه الورقات بين شبابنا وبناتنا لكثرة المبتلين بهذه الوسواس، ولأن أغلبهم ربما لا يعرف أن ما يعاني منه في الواقع هو: وسواس قهري في العقيدة.

فالوسواس القهري في العقيدة قد انتشرت هذه الأيام لأسباب عدة، وفي هذه الورقات نتعرف على كيفية التعامل مع هذه الوسواس، وما هي أسباب انتشارها، وكيف تنفادى حصولها من البداية، وأوصي بنشر هذه الورقات بين شبابنا وبناتنا لكثرة المبتلين بهذه الوسواس، ولأن أغلبهم ربما لا يعرف أن ما يعاني منه في الواقع هو: وسواس قهري في العقيدة.

الوسواس القهري في العقيدة هي: تصوّرات كفرية على شكل أفكار قهرية تقفز فجأةً إلى العقل، فهي أفكار لا تُحتمل، أفكار بشعة تجعل صاحبها يظن أنه قد هلك و أنه قد ألد أو نافق.

ولما جاءت هذه الوسواس إلى بعض أصحاب النبي ﷺ قالوا لرسول الله ﷺ: "يا رسول الله، إننا لنجد في أنفسنا شيئاً لأن يكون أحدنا حُمةً أحب إليه من أن يتكلم به"<sup>٨٥</sup>، فلأن يكون أحدهم حُمةً أفضل من هذا الشعور بالوسوسة، وفي الحديث الآخر قالوا: "لأن يسفط من عند الثريا أحب إليه من أن يتكلم به"<sup>٨٦</sup>

فالوسواس القهري مزعج فعلاً، ولا بد أن يعرف الناس طبيعة هذا المرض، حتى يعرفوا الفرق بين الوسواس والشبهة.

فالصور العامة واحدة، والشكل الخارجي للوسواس والشبهة واحد، لكن شتآن بينهما في طريقة التعامل، فهناك فرق شاسع في التعامل بين كون السؤال وسواسياً أو شبهة: فصاحب الوسواس لو عاملته كما تعامل من عنده شبهة، ولو احترمت سؤاله، وجعلت تردُّ عليه بالأدلة والبراهين والمنطق، فأنت بهذا تزيد مرضاً وأنت ودون أن تدري تضاعف عليه المرض، بل وكأنك تضع البنزين على النار، والمشكلة الأكبر أن بعض أصحاب الوسواس يظنون أن ما عندهم شبهات، فيذهبون ويأتون وهم لا يدرون أنه وسواس قهري.

<sup>٨٥</sup> صحيح ابن حبان (١٤٦)  
<sup>٨٦</sup> مجمع الزوائد (م/١ص/٣٩)

## ما هو الفرق بين الوسواس والشبهة؟

## الشبهة

- **الشبهة:** باطل لبسوه دليلاً، سواء كان دليلاً من القرآن أو السنة أو أي دليل: فهذه تسمى شبهة، والشبهة يجب تعريتها، ويجب كشفها، ويجب فضحها حتى يتفطن السائل، ويطمئن لسخافتها، وصاحب الشبهة هو: إنسان طبيعي يسأل سؤالاً، لو أجيب عن شبهته لانتهدت.

## الوسواس

أما الوسواس فهو أمرٌ آخر تماماً:

- **الوسواس:** فروض عقلية وأفكار مُلحة غريبة قهرية لا منطقية ولا تنتهي، قد تأتي على صورة شبهات أو تساؤلات، فشكلها الخارجي يجعلها كالشبهة تماماً، لكنَّ الفرق أنك لو أجبتا سيقفز لذهن صاحبها فرضٌ عقليٌّ آخر، ولو أجبت عن فرضه العقلي الآخر سيقفز فرض عقلي ثالث، وهكذا إلى ما لانهاية، فصاحب الوسواس إذا أُجيب، فإنَّ عقله يقتنع في أول الأمر، لكن بعد قليل تبدأ الأفكار تُلج عليه مرةً أخرى، وتظل تدور في رأسه، ثم تأتيه الأفكار بصيغ مختلفة، -ربما كذا... ماذا لو؟... لكن رُبما.... أليس من المحتمل أن؟... وهكذا-، فروض عقلية لا تنتهي.

ومريض الوسواس القهري قد يعيش لسنواتٍ في هذه الدائرة المغلقة إذا لم يعرف طبيعة مرضه، فهي دائرة لا تنتهي من الأفكار والتصورات المزجة المتعاقبة اللامنتطقية، والتي تلازم الشخص، ولا يستطيع التخلص منها رغم وعيه بغرابتها ولا منطقيتها: فهذا هو عين الوسواس القهري.

## أنصاف الوسواس

- **تصور كفري:** هناك وسواس يأتي على شكل الشعور برغبة مُلحة على تصوّر كفري معين: مثلًا تصوّر كفري للذات الإلهية أو تصوّر كفري للأنبياء ﷺ، فيتصوّر الذات الإلهية بصورة سيئة، أو يتصوّر الأنبياء ﷺ بصورة لا تليق.
- **سلوك كفري:** وهناك وسواس آخر يأتي لكن ليس على شكل تصوّر كفري، بل على شكل سلوك كفري، فتسأل سائلة وتقول: 'أثناء تنظيفي للمنزل وضعت المصحف جانباً لكن شعرت أنني ألقينهُ، فهل هذا كفر؟' وتدخل في نوبة خوف شديد، فهذه حالة حقيقية ظلت شهوراً تعاني من هذا المرض: فهذا نوع من أنواع وسواس السلوك الكفري.

● النطق بكلام كفري: وهناك وسواس النطق بكلام كفري: حيث تخرج كلمات كفرية من اللسان أثناء الهجمة الوسواسية، وتخرج ألفاظ سب للذات الإلهية أو الأنبياء أو الدين.

● وسواس الإطمئنان بالوسواس: وهناك وسواس عدم الإنزعاج من الوسواس: حيث يخشى المريض بالوسواس القهري من عدم انزعاجه من الوسوسة، ويظن أن هذا اطمئنان بالوسواس.

فهناك صور كثيرة من الوسواس، وقد يتعرض المريض بالوسواس لجملة من هذه الصور الوسواسية أو كلها.

إنّ فالفكرة الوسواسية القهرية قد تكون فكرة أو نطقاً أو فعلاً، وصاحبها يظن أنه قد هلك أو كفر أو نافق أو شك أو ألد، وبعضهم يغتسل وينطق الشهادتين في اليوم الواحد أكثر من خمس مرات، ولا يدري أنّ هذا نوعٌ من الأمراض في الطب النفسي يُسمى بـ: الوسواس القهري أو ال-OCD.

### لماذا يحدث الوسواس القهري؟

نحن لا نعرف تحديداً سبب حصول هذا المرض، وهناك نظريات طبية كثيرة مثل افتراض: مشكلة جينية أو مشكلة وراثية أو مشكلة في النواقل العصبية، وهناك افتراض أنّ هناك ضغطاً نفسياً مفاجئاً.

لكن خلاصة الموضوع أنّ: هناك بعض الأشخاص يكونون مهيبين لحصول الهجمة الوسواسية لسببٍ أو لآخر أكثر من غيرهم، فلو تعرّض أحدهم لضغطٍ مفاجئٍ كشبهاتٍ مثلاً، أو استمع ل طرح إلحادي أو حلقة تشكيكية، فإنّه هنا تبدأ الهجمة الوسواسية في الظهور.

وقد تظهر الهجمة الوسواسية فجأةً، ودون سابق إنذار، والشيطان يستغلُّ الإستعداد النفسي للوسواس، فيبدأ في الوسوسة للمريض بأفكارٍ فاسدةٍ، فيضيع عليه شعور اليقين وطمأنينة النفس، ويعطيه شعوراً وهمياً بعدم اليقين، مع أنّ اليقين لم يفقده، لكنه شعور وهمي مرتبط بالوسواس.

لذلك قال النبي ﷺ: (الحمد لله الذي ردّ كيده إلى الوسوسة)<sup>٨٧</sup> فهذا منتهى الشيطان من صاحب الوسواس: أنّه يعطيه شعوراً وهمياً خادعاً بالكفر.

وقد يبدأ الوسواس في العقيدة على شكل وسواس في الطهارة، فيظلُّ المريض بالوسواس يتوضأ ساعةً كاملةً، ثم ينتقل الوسواس بعد حين إلى العقيدة، وقد تأتي الوسواس أول ما تأتي في العقيدة.

<sup>٨٧</sup> صحيح سنن أبي داود (ح: ٥١١٢).



والوسواس القهري ليس له سنٌ معين يظهر فيه، لكن في الغالب يبدأ قبل سن العشرين، وقد يستمرُّ لأيام وشهور، وقد يطول لسنوات، ويختفي فجأةً في أي وقت.

وبعض الناس من مرضى الوسواس قد تأتيهم الهجمة الوسواسية بمجرد أن يقرأ القرآن، أو يصلي، أو يبدأ في طلب العلم الشرعي، فما أن يلتزم حتى تأتيه الوسواس، وبعض الناس تزداد معهم الوسواس في شهر رمضان، والسرُّ في ارتباط الوسواس بالالتزام المفاجئ عند بعض الناس أن: الوسواس في الأساس يكون نتيجة شعور التقصير، نتيجة شعور عدم تحقيق المثالية، وبالتالي فهذا الشعور يزداد كلما ازداد الإنسان طاعةً، وكذلك يزداد كلما استمع الإنسان للشبهات؛ لأنه يشعر في هذا الوقت أن إيمانه في خطر، فالوسواس في الأصل ناتج عن قلق الشعور بالتقصير، وعدم المثالية.

إذن فالوسواس يستمدُّ وجوده من انزعاجك، يستمدُّ وجوده من حرصك على المثالية؛ ولذلك يزداد في الأوقات التي يكون فيها الإنسان أحرص على المثالية.

## الوسواس من المنظور الشرعي

### معفو عنها جميعا

أول قاعدة لا بد أن يعرفها مريض الوسواس القهري في العقيدة؛ سواء كان وسواسه على شكل أفكار كفرية، أو تصوُّرات كفرية، أو نطق بكلام كفري، أو سلوك كفري، أول قاعدة لا بد أن يعرفها أن: كلُّ صور الوسواس معفو عنها، ولا شيء فيها، فكل صور الوسواس القهري ليس فيها أيُّ ذنب أو مشكلة، فضلاً عن أن تكون شكاً أو كفراً أو إلحاداً؛ كلها معفو عنها!

قال النبي ﷺ لمرضى الوسواس الذين قالوا له: "إِنَّا لَنَجِدُ فِي أَنْفُسِنَا شَيْئًا لَأَنْ يَكُونَ أَحَدُنَا حُمَةً أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ، قَالَ: (ذَاكَ مُحَضُّ الْإِيمَانِ)"<sup>٨٨</sup>

وفي صحيح مسلم ﷺ: "جَاءَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، فَسَأَلُوهُ: إِنَّا نَجِدُ فِي أَنْفُسِنَا مَا يَتَعَاضَمُ أَحَدُنَا أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ، قَالَ: (وَقَدْ وَجَدْتُمُوهُ؟) قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: (ذَاكَ صَرِيحُ الْإِيمَانِ)"

فالنبي ﷺ الذي هو أتقى منا جميعاً، وأحرص الناس على دينك وعقيدتك، قال عن هذه الوسواس الكفرية: (ذاك صريح الإيمان)

<sup>٨٨</sup> صحيح ابن حبان (١٤٦).

وهذا بالمناسبة عندي من عجائب الإعجاز، إذ: كيف عَلِمَ النبي ﷺ أن طبيعة هذا المرض وهمية محضة، وليست كفرةً ولا حتى مجرد شك؟ هذا أمرٌ لم يعرفه الطب النفسي إلا مؤخرًا جدًّا، ولم تظهر تحليلات طبيعة الوسواس القهري، وأنها بالفعل أفكار وهمية إلا في القرن الماضي: فالوسواس القهري أيًا كانت صورته هو وهمٌ في وهم، ولا شيء فيه.

وأيضًا روي عنه ﷺ أنه قال: (إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى تَجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنَّسْيَانَ وَمَا اسْتَكْرَهُوا عَلَيْهِ) <sup>٨٩</sup>، وما استكروهوا عليه: هذا هو عين التوصيف الطبي للوسواس: فالوسواس هو تصوُّرات وسلوكيات وكلمات قهرية، يُستكره عليها مريض الوسواس، فهذه كلها معفوٌّ عنها عند الله ﷻ، فقد تجاوز الله ﷻ عنها بعلمه وحكمته ورحمته.

### باب خير لمن صبر

بل إنَّ هذه الوسواس فيها أجرٌ عظيم من الله ﷻ لمن صبر: فهي باب خير كبير من الحسنات والأجور، تُكتب بمجرد الصبر عليها، وعلى ما فيها من ضيق وشعور بالهم والخوف من الكفر والنفاق؛ فكل ألم وأذى نفسي وضيق يسببه الوسواس فيه أجر من الله ﷻ.

قال النبي ﷺ في الحديث المتفق على صحته: (مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ، وَلَا وَصَبٍ، وَلَا هَمٍّ، وَلَا حُزْنٍ، وَلَا أَدَى، وَلَا غَمٍّ، حَتَّى الشُّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهَا) <sup>٩٠</sup>

بل ربما لا تترك الوسواس مريض الوسواس إلا وقد غفر الله ﷻ ذنوبه، ففي الحديث المتفق على صحته قال رسول الله ﷺ: (مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَدَى، مَرَضٌ فَمَا سِوَاهُ، إِلَّا حَطَّ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِ، كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا) <sup>٩١</sup>

وفي الحديث الصحيح قال النبي ﷺ: (مَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنَةَ فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ، حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ) <sup>٩٢</sup>

فالوسواس فيها خير وبركة وحكمة من الله ﷻ، وليعلم صاحب الوسواس أنَّ هذا الوسواس هو تقدير من الله ﷻ لحكمة ولخير، فالله ﷻ قيوم السماوات والأرض، ومدبر الأمر في السماء والأرض، لا تجري ذرة ولا أقل منها ولا أكبر إلا بعلم الله ومشيئته وقدرته وحكمته وتدبيره: فهو ﷻ يُقَدِّرُ الأقدار، ويدبر بحكمته بطرقٍ نعرفها أو لا نعرفها، نريدُها أو نخشاها، يدبر كلَّ شيء، ويدبر كل خير وبلاء، ثم تعود عاقبة كل شيء وكل تقدير إلى ما فيه

<sup>٨٩</sup> الأربعة النووية [درجة الحديث: حسن].

<sup>٩٠</sup> صحيح البخاري (ح: ٥٦٤١).

<sup>٩١</sup> صحيح البخاري (ح: ٥٦٦٧)، صحيح مسلم (ح: ٢٥٧١): [متفق عليه]

<sup>٩٢</sup> سنن الترمذي (ح: ٢٣٩٩).

كمال الخير وصالح دين الإنسان ودينه، فنحن مملوكون مدبرون تحت أمر الله وتصريفه ﷺ، وهو اللطيف المثان الودود الكريم، وكل أقداره خير ورحمة واختبار، لرفع الدرجات وتمحيص العباد.

واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، إذ قال النبي ﷺ: (ولو أن لك مثل أحد ذهباً أنفقته في سبيل الله ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وإنه من مات على غير هذا دخل النار)<sup>٩٣</sup>

فهذا البلاء وهذا الوسواس القهري هو تقدير الله ﷻ، وكل أقدار الله ﷻ خير، وكثير من مرضى الوسواس بعد أن ابتلوا بالوسواس صاروا طلاب علم، ودعاة إلى الله ﷻ: فهو رحمة من الله ﷻ، يقرب الله ﷻ به الإنسان من الطاعة، ويجعله يهتم بأخرفته ويهتم بمصيره الأبدى.

### ما هي أسرع طريقة لعلاج الوسواس القهري؟

لا بد أن نعلم وقبل أن نبدأ في معرفة علاج الوسواس القهري، أن الوقاية خير من العلاج، وأعظم وقاية هي عدم التعرض لأماكن الشبهات، وهذا يستوي فيه مريض الوسواس القهري، والمهياً للوسواس القهري، والشخص الطبيعي: فلا يجوز أن يعرض المسلم نفسه وقلبه وإيمانه للشبهات، ولا يجوز الجلوس بين من يلقون الشبهات، أو أن نستمع لهم، قال ربنا ﷻ: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠].

وكل شبهة كما قلنا قبل ذلك ولها رد، وأهل العلم ما تركوا من شاردة ولا واردة إلا وبيئوها للناس، لكن لماذا يعرض المسلم قلبه للشبهات ابتداءً ثم يبحث عن دواء؟ قد يُصاب بالوسواس قبل أن يعرف الدواء! فالقاعدة الأساسية: عدم جواز القعود مع من يلقي الشبهات في دين الله ﷻ، خاصةً، وأن القلوب بطبيعتها ضعيفة.

أما عن أسرع طريقة لعلاج من ابتلي بالوسواس أيًا كان نوعه، فهي في ممارسة آلية الإنتهاء: قال النبي ﷺ في علاج الوسواس: (فَإِذَا بَلَغَهُ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ وَلْيُنْتَهْ)<sup>٩٤</sup>، فتعلم كيفية الإنتهاء عن الفكرة الوسواسية وتعلم تطبيق آلية التجاهل التام للوسواس، فهذا أسرع علاج للوسواس.

<sup>٩٣</sup> صحيح سنن أبي داود (ج: ٤٦٩٩).  
<sup>٩٤</sup> صحيح البخاري (ج: ٣٢٧٦)، ومسلم (ج: ١٣٤): [متفق عليه]

لكن كثيرون يفشلون ولا يعرفون معنى الإنتهاء التام، وكثير من مرضى الوسواس يظنون أنّ تجاهل الفكرة الوسواسية ليس يسيراً، وبعضهم يشتكي أنّه كلما تجاهل الوسواس لأيام فإنه يعود بعد وقتٍ، وهذا ببساطة؛ لأنهم لا يعرفون معنى الإنتهاء عن الإسترسال مع الوسواس!

## الإنتهاء عن الإسترسال مع الوسواس: Thought Stopping

وقبل أن نشرح معنى الإنتهاء عن الإسترسال مع الوسواس، لا بد أن نعلم أنّ الإنتهاء عن الإسترسال مع الوسواس هو محور العلاج في الطب النفسي الحديث: فمحور علاج مرض الوسواس القهري هو في: إيقاف الفكرة الوسواسية: الإنتهاء عن الفكرة الوسواسية Thought Stopping: فهذا يُعدُّ حجر الزاوية في علاج الوسواس القهري في الطب النفسي الحديث، وهذا أيضاً من عجائب الطب النبوي.

### Thought stopping

Thought stopping is a **cognitive intervention** technique prescribed by psychotherapists with the goal of interrupting, removing, and replacing problematic recurring thoughts. It is considered a core cognitive intervention method that is distinct for the absence of analysis in the treatment of negative thoughts. It is often employed as a **standalone or auxiliary treatment** to address depression, panic, anxiety, and addiction, among other afflictions that involve obsessive thought.

لكن ما سرُّ فشل كثير من الناس في إيقاف الفكرة الوسواسية؟ السرُّ هو أنّهم: لا يعرفون معنى الإنتهاء عن الإسترسال مع الوسواس، فهم لم يوقفوا الفكرة الوسواسية أصلاً، فالإنتهاء عن الفكرة الوسواسية يعني أن تتعامل معها كمجنون! تخيّل الفكرة الوسواسية كشخص مجنون يهمس في أذنك بكلام، وبالتالي: تتجاهله تماماً، تستخفُّ به، تسخر منه، إذ أنك لو اهتممت بالوسواس وحاولت أن تبحث له عن رد، أو أن تبحث عن طمأنينة خادعة كما يفعل كثير من مرضى الوسواس، فأنت بهذا تزيد الوسواس، بل أنت بهذا تشعل الفكرة الوسواسية وتجعلها تنتعش.

يقول مريض الوسواس: سأجيب عن هذه الشبهة، وبعد ذلك سأجاهل الوسواس، وهو بهذا يضحك على نفسه ويحاول أن يهدئ من ضغط الفكرة الوسواسية، ولا يعلم أنّه بمجرد البحث ستزدحم أفكار وسواسية جديدة في رأسه ولن ينتهي.

فعلاج الوسواس هو التجاهل التام، ولو حاول مريض الوسواس أن يبحث عن رد على شبهته فهو بهذا يزيد المرض، وهو بهذا لم ينته كما أمره النبي ﷺ، بل هو بهذا استرسل مع الفكرة الوسواسية.

تخيّل لو أنّ مجنوناً ينادي عليك في الطريق، وأراد إزعاجك، فأنت بدأت في التجاوب معه وناقشته بهدوء، تخيل ماذا سيفعل بعد أن تناقشه وتحاول أن تردّ عليه! سيأتي بالمجانين من أصحابه، ويشغلون عليك! ستصبح لعبةً في أيديهم! أما لو تجاهلته تماماً فسيتركك وشأنك.

فأنت لو بحثت عن رِدِّ على الفكرة الوسواسية، والتي تظن أنها شبيهة، أنت بهذا تُغذِّي الفكرة الوسواسية، وأنت أيضاً بهذا تخالف الهدى النبوي بالإنهاء عن الوسواس: فمحاولة التجاوب مع الفكرة الوسواسية هو: إفساد للعلاج، وتضخيم للمرض، ومحاولة التجاوب مع الوسواس، والردُّ على الشبهات في عقل مريض الوسواس هو مخالفة لآلية الإنهاء التي أوصى بها النبي ﷺ، والتي هي حجرُ الزاوية في الطب النفسي الحديث، فمن الطبيعي بعد ذلك أن يبقى معك مرض الوسواس لوقتٍ!

وكذلك كلما حاولت أن تطمئن على إيمانك، وكلما ازداد القلق عندك على إيمانك، فإنَّ المرض يزداد، لأنَّ محاولتك الإطمئنان على إيمانك هو استرسال مع الفكرة الوسواسية، فأنت على محض الإيمان، كما بشرك النبي ﷺ، فماذا تريد أكثر من ذلك؟ فكلما استرسلت مع الفكرة الوسواسية، ولو حتى بمحاولة الإطمئنان على يقينك، أتتكَ عشرات الأفكار الوسواسية الجديدة، بل ربما مئات وآلاف غيرها، فلن تنتهي، وهذه طبيعة هذا المرض، هذه طبيعة الوسواس القهري OCD Obsessive-compulsive disorder.

### التعامل مع الوسواس الجديدة

لكن في حال تجاهل صاحب الوسواس هذه الوسواس، وجاءه وسواس آخر جديد بعد وقتٍ، فماذا يفعل؟

سيطبق آلية الإنهاء التام نفسها، والتجاهل التام.

المشكلة أنَّ الفكرة الوسواسية من أخبث ما يكون، فهي تُشكِّل نفسها بشكل جديد تماماً في كل لحظة، بحيث لا يتعرَّف المريض بالوسواس عليها، فتأتيه بصور غريبة، وأشكال غير مألوفة، حتى يظنُّ مريض الوسواس أنَّ: هذا الوسواس الجديد شبيهة وليس وسواساً.

وهذه لعبة الوسواس القهري الأشهر أنَّه يتشكَّل في ألف شكل وصورة، وفي كل مرة يظن صاحب الوسواس أنَّه ليس وسواساً، وهذا شبيهه بمريض نوبات الهلع، ففي كل مرة يظنُّ مريض نوبات الهلع أنَّ حالته هذه المرة ليست نوبة هلع، وإنما مرض حقيقي في عضلة القلب مثلاً.

طالما أنك مريض وسواس قهري، فكل فكرة تأتيك هي وسواس مهما تشكَّلت أو غيَّرت من طبيعتها، فمهما تشكَّلت الأفكار الوسواسية يجبُ التجاهل التام، ويجب تطبيق آلية الإنهاء مع كل فكرة وسواسية جديدة.

فأنت لو أجبت المجنون، وتجاوزت معه بمنطق في أي وقتٍ من الأوقات لن يدعك، أما لو تجاهلته في كل مرة، فإنه سيملُّ مع الوقت ويتركك وشأنك.

تخيّل طفلاً سخيفاً كلما سرت في الطريق سخر منك، هذا الطفل لو حاولت أن تقنعه بالمنطق أنّه ليس هناك ما يدعو للسخرية، فإنه سيسخر أكثر أما لو تجاهلته تماماً سينسأك.

الفكرة الوسواسية هي ذاك الشخص المجنون الذي يهمس في أذنك... الفكرة الوسواسية هي ذاك الصبي السخيف الذي يسخر منك، تجاهل الفكرة الوسواسية تماماً.

بعض الناس يقول إنّه يخشى على إيمانه أو خشوعه بسبب الوسواس، هو أيضاً بهذه المخاوف لم يطبق آلية الإنهاء، فالإنزعاج يزيد الوسواس: فإيمانك لا ينقص بالوسواس مهما كانت صورته، وليس عندك أدنى شك في الدين، بل أنت على صريح الإيمان بلفظ حديث النبي محمد ﷺ، لكن الوسواس يعطيك هذا الشعور الوهمي بأنّ إيمانك قد ضعف أو أنك أصبحت منافقاً حتى تهتمّ به وتقوم بالتجاوب معه!

فالفكرة الوسواسية كما قلت هي: فكرة خبيثة تأتيك بصورة متنوعة حتى تهتمّ بها، أما مع التجاهل مرة في الأخرى ستتنصرف الأفكار الوسواسية بلا عودة.

لكن بعض مرضى الوسواس يخشون من عودة الوسواس مرةً أخرى، وهذا أيضاً يدلُّ على عدم تطبيق آلية التجاهل، فطالما أنك تخشى من المجنون أن يهمس في أذنك، وطالما أنك تلتفت خلفك؛ خوفاً من ظهور الصبي السخيف، فإنك بهذا تُشجعهما على العودة لك مجدداً.

فالتجاهل هو: التجاهل التام، والإنهاء هو: الإنهاء التام، كما قال رسول الله ﷺ: (وَلْيَنْتَه)

تعاملُ وكان المجنون، وكان الصبي السخيف غير موجودين نهائياً، لا تبحث عن الوسواس بعد أن يختفي؛ لأنك لو فكرت فيه قد يبدأ في العودة مجدداً، فتجاهله تماماً، يأتي وقتما شاء، ويذهب وقتما شاء، يأتيك كما يحب طالما انتهيت ﷻ، فلا تتشغل، هل مازال موجوداً أم لا؟

قد يسأل مريض وسواس ويقول: 'إنّ خشوعه في الصلاة قد قلّ بالفعل مع بداية الوسواس'، وجواب ذلك: أنّ هذا أيضاً طبيعيٌّ؛ لأنّ الوسواس كان يشغل ذهنه، فما أن يبدأ في التجاهل التام حتى يعود الخشوع إن شاء الله ﷻ.

### عودة الوسواس بعد التعافي

لكن ماذا لو عاد الوسواس بعد زمن من التعافي التام؟

ما المشكلة؟ يأتي الوسواس كما قلت وقتما أراد، فلا نلتفت ولا نهتم، ولو وصل مريض الوسواس لهذه المرحلة من الإنتهاء والتجاهل بحيث يصبح وجود الوسواس كعدمه، في هذه اللحظة إن شاء الله ﷻ سيختفي الوسواس فجأة كما أتى فجأة.

- قد يريد مريض الوسواس كتبًا في زيادة اليقين، وزيادة الإيمان، بحيث يظل ثابتًا على دينه فهل يقوم بذلك؟

للأسف هذا يبين أن مريض الوسواس لم يتجاهل الوسواس كما هو مطلوب، فهو بهذا لم يتجاهل الوسواس! فلنزع الإنتهاء عن الوسواس هو أن ينتهي تمامًا، بحيث يصبح غير مهتم بوجوده نهائيًا، لكن، طلب زيادة اليقين والبحث عن كتب تزيد الإيمان، هذا يعني أن طالب هذه الكتب يُركّز بشدة على الوسواس، وهذا ليس انتهاءً ولا تجاهلاً، بل هذه قمة الإهتمام، فهنا مريض الوسواس يريد مشروع قراءة لكتب كاملة حتى يتخلص من الوسواس في ظنه، إذن، هذا اهتمام غير طبيعي! بل هذا تركيز شديد مع المجنون الذي يتكلم في أذنك، فلو تكلم مجنون في أذنك بكلام كفري، هل ستقرأ مشروعًا كاملًا من الكتب للرد عليه؟ هو بهذا سيزداد صراخًا في أذنك.

خذها قاعدة: لا تفعل شيئًا من أجل الفكرة الوسواسية، ولا تترك شيئًا من أجلها.

لا تقرأ كتابًا يزيد اليقين حتى تختفي الفكرة الوسواسية، ولا تبحث عن أشياء تزيد الإيمان من أجل أن تختفي الفكرة الوسواسية، وأيضًا لا تتوقف عن عبادة كنت تعملها خوفًا من زيادة الوسواس: لا تفعل شيئًا من أجل الوسواس، ولا تترك شيئًا من أجله.

أردت أن تتعلم علمًا شرعيًا من أجل نفسك ودينك وآخرتك ونفع الناس؟ أنعم وأكرم، أما من أجل الوسواس فلا.

أيُّ اهتمام بالفكرة الوسواسية عند مريض الوسواس هو تغذية للفكرة الوسواسية، والفكرة الوسواسية تستمد قوتها من صراعك معها، من تفاعلك معها، من بحثك عن الرد عليها، من محاولتك الهروب منها، والفكرة الوسواسية تستمد قوتها من قلقك، ومن خوفك منها ومن اهتمامك بها.

الفكرة الوسواسية عليك أن تنتهي عنها تمامًا، وستأكل بعضها بعضًا ثم تختفي.

- وبعد زمن من التعافي من الوسواس قد تأتي أفكار وسواسية خفيفة، وهنا قد يخاف الشخص

المشكلة أن الخوف هو اهتمام بالفكرة الوسواسية، فلو جاءت أفكار خفيفة تجاهلها تمامًا. فأسرع طريقة لعلاج الوسواس القهري هي: الإنتهاء التام الصحيح عن الفكرة الوسواسية.

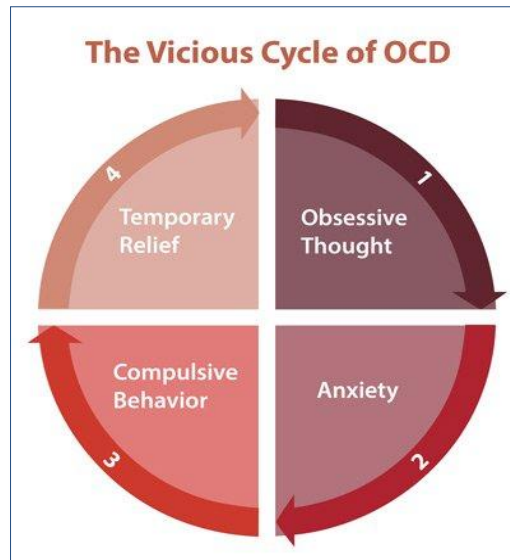
ما يحصل من بعض مرضى الوسواس هو "وَهُمُ الْإِنْتِهَاءُ"! فالمرضى لم ينته عن الانشغال بالوسواس، ويظن أنه متجاهل للوسواس، وهو ليس كذلك.

البعض يقول: أشعر أنّ هذه الأفكار تصدُرُ عني، وليست وسواسًا هذه المرة! وهذا في الواقع: عين الوسواس القهري في العقيدة، وطالما أنك ما زلت تخشى أن تكون هذه الوسواس صادرة عنك، فهذا يقينًا وسواسٌ، وهذا أيضًا يقينًا دليل على أنك لم تنته الإنتهاء المطلوب، بل أنت مسترسل معها، مشغولٌ بها.

- وهنا قد يقول المريض: لكن أشعر أنني بدأت أتقبّل هذه الوسواس، ودليل ذلك: أنني لم أعد أنزعج من الوسواس كما كنت أنزعج، فأخشى أن تكون هذه الوسواس قد انقلبت لشكٍّ في الدين عيادًا بالله ﷻ.

وهذا أيضًا هو عين الوسواس القهري في العقيدة، هذه طبيعة هذا المرض، لا بد أن يستوعب مريض الوسواس طبيعة مرضه: الوسواس يأتي بصور خبيثة متلونة متنوعة، ويتغذى على خوفك، فيأتيك بالصورة التي تخاف بها حتى تهتمّ.

قد يأتي الوسواس بعد وقت من التعافي، وهنا يظهر على شكل أفكار خفيفة، أي وسواس سطحية بسيطة، لكن ما أن يبدأ الشخص في الإنزعاج والخوف والتركيز معها، وهل الوسواس عاد؟ فيزداد القلق، وفي هذه اللحظة قد تعود الهجمة الوسواسية مجددًا: فالهجمة الوسواسية عادت من توقعك وتركيزك وانزعاجك منها، فالفكرة الوسواسية إذا انتهت عنها تختفي، لكن قد تعود على شكل بسيط جدًا، فلا تركز معها حتى لا تتحوّل إلى هجمة وسواسية مفاجئة، فالتعامل مع بوادر الأفكار الوسواسية السطحية البسيطة يكون كالتعامل مع الهجمة الوسواسية: التجاهل التام، والإنتهاء التام.





## تجربة شخصية

منذ حوالي عشر سنوات كنتُ أنا -مؤلف هذا الكتاب- أعاني من مشكلة مرتبطة بنوبات الهلع، وكنتُ كلما جاءتني هذه النوبات أخاف بشدة فتزداد أكثر، أعاني منها لساعات ثم تهدأ، بعد يومين أو أكثر تعود النوبات مجددًا وهكذا، فكانت النوبات تأتي، ثم تختفي إلى أن قرّرت أن أواجه هذه النوبات.

نوبة الهلع عبارة عن: شعور بضيق التنفّس، وضربات قلب سريعة، يرافقها شعور بالموت، لكنها طبيًا مجرد وهم، وليست لها أية خطورة صحية.

بعد تشخيصي لحالتي قررت المواجهة، وأذكر تلك الليلة جيدًا أتتني النوبة، وبما أن نوبة الهلع تزداد في حال كنت وحدك، فأنا دخلت بمجرد بدايتها في غرفة مظلمة وحدي، وبدأت النوبة تشتدُّ وأنا مبتسم وهادئ تمامًا.

نوبة الهلع كالوسواس تتغذى على توترك، تتغذى على خوفك منها، لذلك أنا ظللت هادئًا تمامًا، وبعد دقائق من العرق، وضربات القلب الشديدة، وشعور عدم الاتزان، وشعور الاختناق، والتجاهل التام بدأت النوبة في التراجع سريعًا، ومنذ ذلك الحين وحتى اللحظة لم تعد النوبة مجددًا بفضل الله ﷻ ورحمته وعفوه.

فنوبات الهلع هي مرض مواز للوسواس القهري، تتغذى على خوفك منها، وتستمدُّ قوتها من اهتمامك بها، فلو فعلت عكس ما تريد منك النوبة ستختفي، ولن يعود لها تأثير.

## كيف يتعامل مريض الوسواس القهري مع وساوس العقيدة

تخيل أن بعض مرضى الوسواس لجهلهم يغتسل وينطق الشهادتين، ويقول: أنا أفعل ذلك من باب الإحتياط؛ لئلا أكون نطقت بكلام كفري في أثناء الهجمة الوسواسية: وهذه ليست مخالفة للهدى النبوي فحسب، وإنما تزيد المرض انتكاسًا بصورة سريعة، فالمريض اهتمَّ بالوسواس لدرجة تصديقه تمامًا، إذا كان الشرع لم يأمرك حتى بالاستغفار من الوسواس؛ لأنه ليس بذنبٍ أصلاً، فتأتي أنت لتغتسل وتنطق الشهادتين؟ أنت بهذا تغذي الوسواس بصورة غير عادية!

كلُّ إنسان بالمناسبة تأتيه وساوس، لكن الإنسان الطبيعي لا يحصل تطوُّر لهذه الوسواس عنده فتختفي ذاتيًا، أما مريض الوسواس، فالوسواس عنده تتشكّل بصور مختلفة، فيظن أنها شك، أو أن إيمانه قد تأثر، وقد ينطق أثناء الهجمة الوسواسية بكلام كفري، فيظن أنه هلك، وهو في كل هذا يبقى وسواسًا، وهو في كل هذا معفوق عنه، وهو في كل هذا على صريح الإيمان.

الوسواس لو تشكّل بألف صورة، إياك أن تخاف منه، فطالما علمت أن عندك وسواس، فمهما تشكّل تعامل معه كوسواس: تعامل معه كمجنون، انتِه عن الإسترسال معه، وحافظ على طاعاتك كما أنت.

قد يأتيك شعور اللامبالاة وقلة الخشوع، وقد تظن أنك بهذا صدقت الوسواس، وهذا أيضًا من الوسواس، وكلما حاولت أن تثبت لنفسك أن إيمانك لم يهتز، فأنت بهذا مهتمّ بالوسواس ولم تتجاهله، وهذا سيجعل الوسواس، يعطيك شعور عدم الإيمان أكثر وأكثر.

الوسواس يعتمد على إيهامك بأنه ليس وسواسًا، يحاول أن يقنعك بذلك بأكثر من صورة، هذا هو الوسواس، وهو يتغذى على هذه الألعاب التي يضحك بها عليك.

- لكن قد يسأل مريض وسواس فيقول: كيف أجبر عقلي على النسيان التام؟ كيف أجبره على هذا التجاهل التام؟ فأنا لا إرادياً أسترسل مع الفكرة الوسواسية!

والجواب: لا تجبر عقلك على شيء! فقط اعتبر مجنوناً يتكلم في عقلك، فأنت لا تُجبر عقلك على تجاهل المجنون، بل أنت أعقل من أن تهتمّ به أو تجبر نفسك على تجاهله، تقبل وجوده، وتجاهله تمامًا وكأنه غير موجود: هذا هو المطلوب بالضبط، تقبل وجود الفكرة الوسواسية، لكن تجاهلها، فأنت لا تجبر عقلك على النسيان؛ لأن الإيجاب اهتمام.

انشغل بما أنت منشغل به، ولا تلتفت هذا هو معنى الإنتهاء! فالوسواس يدخل من أذن ويخرج من الأذن الأخرى، وكان شيئاً لم يحصل، لا تحارب الفكرة الوسواسية، ولا تتجاوب أو تسترسل معها، دع الوسواس، دع الشخص المجنون يتكلم في أذنك، وانشغل أنت بما أنت مشغول فيه كما أنت: لا تُوقف ما كنت تعمله، ولا تتماذى فيما تعمل من أجل إيقاف الفكرة الوسواسية، كُن كما أنت بطبيعتك.

### الوسواس القهري كالتمتر



هناك شيء يُسمى المتنمر TROLL، المتنمر هو: شخص سخيف يريد أن يستفزك

**علاج التنمر هو: عدم تغذيته. DON'T FEED THE TROLL:** فتغذية المتنمر تكون بالرد عليه والإهتمام به، وهذا يجعله يفرح ويزداد تنمرًا، أمّا مع تجاهله تمامًا وكأنه غير موجود في حياتك، فإنه سيختفي، الفكرة الوسواسية أشبه بالمتنمر.

### الوسواس القهري كالسراب

أيضًا الفكرة الوسواسية أشبه بالسراب، لو خفتَ منها لن تستطيع إكمال طريقك، أما لو سرتَ كما أنت وتجاهلتها، فسوف تكتشف بعد وقت أنها لا شيء.

المشكلة أنك لن تطمئنَ إلى أنها لا شيء إلا بعد تجاهلها والمروء عليها، فبعد أن تتجاهل الوسواس ويختفي، ستعلم بعد وقت أنه ليس أكثر من سراب وهمي مضحك بلا قيمة.

إنّ أنت لست مطالبًا بمحاربة الفكرة الوسواسية حتى تختفي، كلاً! المطلوب منك فقط هو: التعامل معها وكأنها غير موجودة، بحيث تفقد أثرها مع الوقت، وتفقد خوفك منها، وفي هذه اللحظة ستختفي بالفعل من تلقاء نفسها.

### أسباب انتشار الوسواس في الآونة الأخيرة

الوسواس القهري انتشر مؤخرًا بصورة كبيرة؛ لذلك لا بد أن يعرف الناس طبيعة هذا المرض، وطريقة التعامل مع هذا المرض؛ لأن كثيرين يتعذبون ويظنون أنهم بوسواسهم هالكون.

### إتاحة البحث عبر شبكة الإنترنت بسهولة

فإتاحة البحث سهّلت تغذية مرض الوسواس القهري عند مرضى الوسواس، فأول ما تأتي مريض الوسواس فكرة وسواسية يبدأ في البحث السريع عن ردِّ عليها، فيهبج المرض ويغذيه باستمرار.

### انتشار الشبهات

انتشار الشبهات جعلت من عندهم استعداد نفسي لهذا المرض يظهر فيهم بسرعة.

### الفراغ

الفراغ له دور في زيادة حالات الوسواس.

### الجهل بالعلم الشرعي

قلة العلم الشرعي عند أغلب الأجيال الصغيرة.

فهذه كلها أسباب أدت لانتشار هذا المرض مؤخرًا.

### الوسواس: منحة وليس محنة

مرضى الوسواس بفضل الله من أكثر الناس إخبارًا لله ﷻ، ومن أكثر الناس خوفًا على دينهم، ومن أكثر الناس بحثًا عن المثالية المستحيلة، وهذه الصفات الجميلة فيهم لا بد أن يستغلوها جيدًا؛ ليصبحوا دُعاة إلى الله ﷻ، وطلاب علم، وهداة إلى سبيله.

وختامًا: اجعل الوسواس البلاء الجميل! اجعله البلاء الذي يرفع الله به درجتك في الدنيا والآخرة: بالصبر عليه، وتجاهله، وعدم تركك للطاعات.

### خلاصة

ومُلخَّص ما سبق عن الوسواس القهري في العقيدة:

١. الوسواس القهري هو: أفكار مُلحّة مزعجة؛
٢. أنت مأجور على الوسواس الذي يأتيك؛
٣. الفكرة الوسواسية أشبه بمجنون يتكلم في أذنك، فلا تحاول أن تقنع الفكرة الوسواسية بالبحث عن جواب؛ لأنك بهذا كالذي يحاول أن يقنع مجنونًا بالمنطق؛
٤. الفكرة الوسواسية قوتها في أنها تقنعك أنها ليست وسواسًا، تُفنعك أنك تعاني من الشبهات وتقنعك أن لديك مشكلة في إيمانك؛
٥. وعلاج الوسواس في أي صورة جاءك بها هو: الإنتهاء التام؛
٦. الوسواس يستمدُّ قوته من خطئك في التعامل معه: يلعب على رفضك، على خوفك، على قلقك، على بحثك، على اهتمامك؛
٧. تقبّل طبيعة الوسواس، ولا تدخل في حرب؛ لطرده الفكرة الوسواسية، ولا تهتمَّ بها، بل تعامل معها وكأنها غير موجودة مهما تشكّلت وانتِه عن الإهتمام بها تمامًا؛

٨. إنَّ الوسواس ينقلك لدرجة أعلى في دينك ودنياك إن شاء الله ﷻ و يجعلك إلى الله ﷻ أقرب، فأبشِرْ واطمئنْ واحمد الله ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩]، وتذكَّرْ دومًا وصية النبي صلى الله عليه وآله وسلم لمريض الوسواس: (فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ وَلْيَتَنَبَّهْ)<sup>٩٥</sup> والحديث متفقٌ على صحته.

فاستعذُ بالله ﷻ والجاُ إلى الله ﷻ فهو ربُّك، قَدَّرَ ما قَدَّرَ برحمته وحكمته، فاستعذُ به ﷻ وانتِه وتجاهلِ الفكرة الوسواسية تمامًا.

- أسأل الله العظيم، رب العرش العظيم أن يشفي مرضانا ●●
- وأن يرفع درجاتنا جميعًا في الدنيا والآخرة ●●

<sup>٩٥</sup> أخرجه البخاري ﷺ (٣٢٧٦) واللفظ له، ومسلم ﷺ (١٣٤).

## النسوية

## تعريف النسوية

قد يسأل سائل: ما هي النسوية Feminism وهل تُصايم الشرع؟

إنَّ النسوية هي فلسفةٌ لتثوير المرأة على الرجل، وقد اکتوى بهذه الفلسفة النساء قبل الرجال.

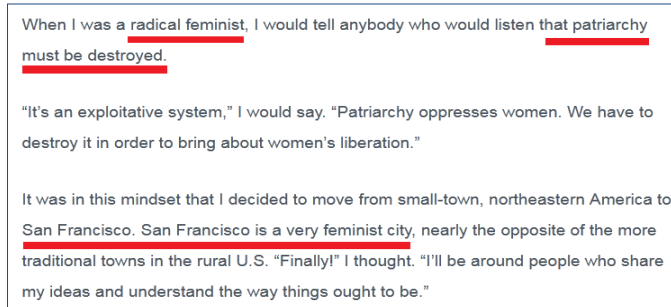
## حقيقة النسوية

## إيديولوجيا مكتملة الأركان

في العام الماضي خرجت إيمي ماسترين Amy Mastrine -وهي نسوية أمريكية متعصبة- خرجت لتقول معترفةً: "نظام سيادة الرجل على المجتمع يحمي المرأة أكثر من نظام النسوية" انتهى



و تُقرر ماسترين أنها كانت نسوية متعصبة وداعية لتحطيم منظومة سيادة الرجل على المجتمع، ونتيجةً لتعصُّبها للنسوية تركت مدينتها الصغيرة، وذهبت إلى سان فرانسيسكو حيث عاصمة النسوية.



وهناك في سان فرانسيسكو تكتشف ماسترين المفارقة العجيبة: نظام سيادة الرجل الذي تركته خلفها لم يكن يُهين المرأة، وإنما كان يحميها، إذ تقول: "اكتشفتُ في سان فرانسيسكو أنه لا يوجد حماية، ليس هناك غطاءً من الرجال الصالحين للدفاع عني، فالجريمة هنا في كل مكان" انتهى

### Crime Runs Rampant without Strong Men

In San Francisco, I saw there was no shield of good masculinity protecting me from bad men. In San Francisco, criminals roam free, and almost every woman I met there had been the victim of some sort of crime — whether it be a car break-in, flashing, sexual assault, theft, or being followed. Usually, crime and bad behavior went completely ignored, and the streets were filled with chaos.

وبالمناسبة سان فرانسيسكو هي: 'عاصمة الجريمة'، ففي سان فرانسيسكو جرائم في كل مكان، وكل إنسان يدافع عن نفسه بقوته العضلية.

وتعترف ماسترين: "بما أنّ المرأة في طبيعتها أضعف جسدياً من الرجل، فكان الاعتداء علينا سهل جداً في كل مكان، ولا توجد امرأة قابلتها لم يتمّ الاعتداء عليها، وهنا تذكرتُ المقولة التي تقول: لا يحميك من الرجل السيئ إلا الرجل الصالح" انتهى

“

*Every woman I met in San Francisco had been the victim of some sort of crime.*

Women are physically smaller than men, and this makes us vulnerable in ways men are not. There's a saying that the only thing that stops a bad man is a good man, and I learned the truth of this the hard way.

تقول ماسترين في نظام سيادة الرجل ذاك النظام الذي أرادت أن تحطمه: "في هذا النظام يشعر الرجل بالمسؤولية تجاه حماية المرأة والأطفال" انتهى، ونظام سيادة الرجل يعني: حماية المرأة والطفل.

### Patriarchy Means Men Protect Women

Patriarchy is a social system in which men are primarily responsible for governing social behavior and in which the father is the head of the family. In patriarchy, men feel a sense of duty to women, children, and the larger community. Men are entrusted to keep women safe.

ثم تختم كلامها فتقول: "نظام سيادة الرجل يُعطي المرأة حرية أكثر من النسوية، في النظام النسوي أنتِ مضطّرة للنظر خلفك في كل لحظة" انتهى

*In patriarchy, men feel a sense of duty to women, children, and the larger community.*

In feminism, being a "free and liberated" woman means "she can handle herself."

Without good men around, I was entirely responsible for my own safety. This left me with a lot to be anxious about! I learned I missed having men in the role of protector.

Back in my small town, I could relax a lot more knowing good men were around me.

**Ironically, the patriarchy I had left behind and wanted to dismantle had made me freer than feminism did. I didn't constantly have to watch my own back.**

احتاجت ماسترين أن تسافر ثلاثة آلاف ميل؛ لتكتشف أن نظام سيادة الرجل أفضل لها من النسوية.

It took moving 3,000 miles away from home for me to realize that patriarchy isn't a bad thing — rather, it has a very important purpose and shouldn't be dismantled. It has flaws and downsides, but given the choice, I'd rather live in a patriarchal society than a feminist one.

عادت ماسترين لبلدتها سريعاً، وعادت للشعور بالأمان في ظل نظام سيادة الرجل الذي يحمي المرأة ويحرص ﷺ، وبإمكان ماسترين الآن النوم مطمئنةً في وجود رجال طبيين دائماً من حولنا.

مشكلة النسوية أنها فلسفة مليئة بالإشكالات والكوارث، ولا يعي هذه الكوارث إلا من اكتوى بنارها، ثم صار صادقاً مع نفسه: الفيمينزم Feminism أو النسوية هي أيديولوجيا كاملة، ولا علاقة لها بمناصرة حقوق المرأة، فهي أيديولوجيا تعطي تصوراً كاملاً للوجود من منظور نسوي.

وكلمة الفيمينزم Feminism: هذه اللاحقة "ism" هي لاحقة تأتي في آخر الكلمة لتعني: "أيديولوجيا".

فالنسوية تريد رؤية شمولية للعالم، بل هي إعادة رؤية العالم وفق نظرتها هي: لذلك فهي أيديولوجيا متكاملة كالشيوعية والنازية والداروينية، إنها تريد إعادة رسم العالم، ورسم الاقتصاد، ورسم السياسة، ورسم التعليم، ورسم الثقافة، ورسم كل شيء وفقاً للأيديولوجيا الخاصة بها! فهي تريد مركزية النسوية في قراءة كل شيء

إذن أولى الحقائق التي لا بد أن نعرفها عن النسوية، أن النسوية هي: أيديولوجيا مكتملة الأركان.



## تميز ضد الأنثى

أما الحقيقة الثانية في النسوية، فهي أنها: لا تعني الانتصار لمفهوم الأنوثة: بل في الواقع أن النسوية لا علاقة لها بالأنوثة، إذ أن النسوية على العكس تمامًا من الأنوثة، فحتى تُحقق النسوية أيديولوجيتها المستقلة: جعلت ما يحقّقه الرجل هو مرادها.

فانظر لهذه المفارقة العجيبة: يظن الناس أن النسوية هي تحقيق لمفهوم الأنوثة، لكنها في الواقع تجعل معيار النجاح هو تحقيق ما يحقّقه الرجل.

فأصل النسوية -الفيمينزم- يقوم على الإعجاب بالذكورة واحتقار الأنوثة، غاية الفيمنيزم -النسوية-: تحقيق ما حقّق الرجل: فالفيمينست -المرأة النسوية- ليست مناصرةً لحقوق المرأة، بل هي: كُتبت للمرأة، وإخفاء لمعالم المرأة، واعتراف بعلو القيم الذكورية.

فهذه من أعجب المفارقات أن يكون تيار الفيمنيزم في حقيقته مجرد تيار يدعو لإلغاء المرأة لصالح الرجل، ولصالح القيم الذكورية، والنجاحات الذكورية، والانتصارات الذكورية، وكان تيار الفيمنيزم استقرّ في وعيه أن المرأة كائن ضعيف، وحتى ينصلح هذا الكائن الضعيف لا بد أن يكون رجلاً: فلا بد أن تتقمّص النسوية الشخصية الذكورية، وأن تُحقق النجاح الذكوري.

فالنسوية هي تيار يدعو ظاهرياً للهجوم على الرجل، وكراهية الرجل، لكنها في الواقع تنشُد كل ما حقّق الرجل، والنسوية تريد أن تمحو كل خصائص المرأة، وأن تمحو كل ما يميز المرأة، وأن تمحو طبيعة المرأة، وأن تمسخ خلقة المرأة، وأن تمسخ فطرة المرأة، وأن تمسخ نفسية المرأة، حتى تصبح المرأة في الأخير: رجلاً بجسد أنثى!

فمن تدبّر حال النسوية سيجد أنها تدعو المرأة لتكفر بالأنثى، وتكفر بما استقرّ في فطرتها كأنثى! فهي تدعو المرأة لتصبح رجلاً بطموحات الرجل، وأمنيات الرجل، وقيم الرجل، وهذه قمة الفيمنيزم.

النسويات يُردنّ من المرأة أن تعيش بقلب ذكوري، وبطموحات ذكورية، بل ووصل الأمر ببعضهن أنهنّ يُردن من المرأة أن تعيش حتى بطبيعة الجسد الذكورية، فبعضهن ترفض وضع المكياج والتجمل، وبعضهن وصل بهن الحال إلى رفض إزالة الشعر من الجسد وصرن يدعون لذلك.

فالذكورية مُضخّمة في الفيمنيزم تضخّمًا غريبًا، فعندهن احتقار غير طبيعي للأنوثة!

وتقوم فلسفة النسوية على مقدمة أن: الذكر أقوى من الأنثى، وأن الذكر متميز عن الأنثى، وأن الذكر أفضل من الأنثى، وبالتالي فحقوق الرجل، وعمل الرجل، وطريقة تفكير الرجل، وميادين عمل الرجل هي المعيار الذي تريد أن تصل إليه الفيمينست، فالفيمينست -المرأة النسوية- تجعل الرجل هو السوبرمان -الرجل الخارق-، والغاية أن تصير مثله!

إنَّ الرجل في النسوية هو النموذج المذهل: فانتصار الفيمينست -المرأة النسوية- يكون بالقدر الذي تقترب فيه من الرجل، ويكون بإلغاء المرأة لصالح الرجل؛ وهذا في الحقيقة: مسخ للمرأة، وليس انتصارًا لها، هذا تدمير لغريزة المرأة وطبيعة المرأة، وهذا التصوُّر في الواقع يؤدي إلى قهر المرأة، ويدفعها لترتدي ثوبًا غير ثوبها، والنهاية تدمير نفسيتها.




فالنسوية "تجعل المرأة بائسة"، كما تقول سوزان فنكر **Suzanne Venker**، فهي تجعل الفتاة في النهاية تكره نفسها وتكره كونها أنثى، وكلما تعمقت الفتاة في النسوية استشعرت الدونية، واحتقرت جسدها، واحتقرت نفسها.

FEMINISM

### 4 Feminist Lies That Are Making Women Miserable

*Too many women map out their lives with work at the center and eventually wish they hadn't. My inbox is loaded with women's emails saying they wish someone had told them this sooner.*



By Suzanne Venker  
NOVEMBER 12, 2019

Twenty years ago, I wrote my first book about why women can't "have it all," or at least all at once, despite what the culture tells them. (Hint: It's because no one, male or female, can perform two full-time jobs simultaneously without the bottom falling out.)

At the time, the so-called Mommy Wars were raging. Women everywhere who'd been sold a bill of goods by their feminist mothers and mentors were either lamenting the futility of being able to successfully work full-time outside the home while maintaining a healthy marriage and family life, or they were defending their choice to work full-time by insisting children do fine in round-the-clock substitute care.

فعندما يكون معيار نجاحك، ومعيار انتصارك، ومعيار تقدمك هو أن تصلي إلى ما وصل إليه الرجل، فإن هذا يعني أنك تمارسين ضمنياً التمييز ضد الأنثى، واحتقار الأنثى، وكأنك تُقررين دونية الأنثى، لذلك فالنسوية تؤدي لتدمير نفسية المرأة، وتشويه نفسية من يعتنقها مع الوقت.

إذن الحقيقة الثانية في النسوية أنها: تمييز ضد الأنثى.

### حالة ذهانية تعيش بارانويا ارتيابية

أما الحقيقة الثالثة في النسوية فهي أنها: تُرسخ في أذهان النساء أن الذكور يتآمرون عليهنَّ عبر التاريخ، حتى يكون كلُّ شيء ذكورياً.

فالرجال يتآمرون على الأنثى، وهذه الفكرة: فكرة التآمر، وأنَّ الناس من حول الفتاة أباهَا وأخاها وكلَّ رجلٍ من حولها يتآمر عليها، هذه الفكرة في الأصل هي: اضطراب عقلي يُسمَّى البارانويا Paranoia أو الذهان أو جنون الارتياب: وهذا مرض معروف في الطب النفسي، فهو نمط تفكير يشعر فيه المريض بأنَّ المحيطين به يتآمرون عليه، ويقوم المريض بتحليل كل تصرف من تصرفاتهم بناءً على هذا النمط التفكيرى.

فالرجل يفعل كذا وكذا حتى تسود قيمه الذكورية، والرجل يقنعني أنه يحبني حتى يفرض سيطرته، وهذه الفكرة التآمرية هي أحد الأمراض النفسية الشهيرة.

فالنسوية تريد من كل الفتيات أن تصبحن مريضات نفسياً بمرض البارانويا، فالنسوية تطلب من الأنثى أن تفقد الثقة في المحيطين بها تماماً، والنسوية تنعت الرجل ب: الكاذب والخائن والغادر، بينما المرأة هي في كل الحالات ودائماً هي: الصادقة والبريئة والمضطهدة.

إنَّ النسوية تستخدم هذا الأسلوب حتى تتكوَّن حالة التمرد لدى الفتاة، فتثور على الرجل، ثم تنزع طاعة ولي أمرها، ثم تتمرد على أسرتها، ثم تثور على كل شيء.

### أعراض البارانويا

والآن دعونا نستعرض أعراض مرض البارانويا، وسوف تجد كلُّ نسوية أن كل هذه الأعراض تعاني منها:

### أعراض مرض البارانويا

لمرض البارانويا العديد من الأعراض، وفيما يأتي الأعراض الأكثر شيوعًا:

- الارتياب والشك من أفعال وتحركات الآخرين.
- عدم الوثوق بالآخرين.
- كون الشخص دفاعي وعدائي.
- سهولة الشعور بالإهانة.
- اعتقاد الشخص بأنه دائماً على صواب ومواجهة صعوبة في الاسترخاء.
- عدم القدرة على القبول بحلول وسطية، أو المسامحة، أو قبول النقد.
- الاعتقاد بوجود معانٍ خفية وراء التصرفات العادية للأشخاص.
- العزلة.

١. الإرتياب والشك من أفعال المحيطين: فهي تستشعر أن المحيطين بها يتآمرون عليها؛ لتسود قيمهم هم؛

٢. عدم الوثوق بالآخرين؛

٣. تتحول مع الوقت إلى شخصية عدائية؛

٤. سهولة الشعور بالإهانة: فهي تتحسس دائماً لأية كلمة تصدر من الرجل؛

تعتقد دائماً أنها على صواب؛

٥. لا تقبل المسامحة: صدامية؛

٦. تعتقد بوجود معانٍ خفية وراء التصرفات العادية؛

٧. العزلة عن المحيطين بها.

هذه أعراض البارانويا في الطب النفسي الحديث، فهل يوجد عَرَضٌ واحدٌ من هذه الأعراض ليس عند النسويات؟ فالنسوية تولد شخصيات ذهانية، حيث تعيش عالماً تآمرياً، فتتخرط الفتاة المتأثرة بالخطاب النسوي مع الوقت في العزلة التامة، والعدائية الشديدة للرجل.

إذن الحقيقة الثالثة في النسوية أنها: حالة ذهانية تعيش بارانويا ارتيابية منفصلة تماماً عن العالم.

## فلسفة إقصائية

الحقيقة الرابعة في النسوية أن: النسوية ليست لمجرد تحقيق مكاسب المرأة، وإنما الهدف المباشر منها هو توسيع رقعة الخلاف بينها وبين الرجل، ثم في مرحلة تالية إقصاء الرجل تمامًا من الساحة، فهدف النسوية: تثوير المرأة على الرجل



فالنسوية هي فلسفة إقصائية تُثير فئةً من الناس ضد فئةٍ أخرى؛ لتحل محلها لا أكثر، وهذه عادة الفلسفات الشمولية والإيديولوجيات التي نشأت في مظلة العلمانية، أنها فلسفات إقصائية:

- فالشيوعية إقصائية لأصحاب رأس المال لتحل محلهم؛
- والنازية إقصائية للأعراق الأدنى لتحل محلهم؛
- والنسوية كذلك إقصائية للرجال لتحل محلهم.

فالنسوية تهدف إلى تحقيق ما قام الرجل بتحقيقه، ومن ثمَّ إزاحته من الساحة تمامًا: فهي فلسفة إقصائية.

إنَّ تثوير المرأة على الرجل هو شيء مُدمر لنفسية الرجل والمرأة، وهذا التثوير يُحوّل المرأة لكائن عدائي كاره مُنقَر، تلعن الرجل صباح مساء؛ فالنسوية تُشوّه صورة الرجل في أذهان المراهقات، وتحطم القدوة في حياتهن، والنسوية تُخون أولياء الأمور.

إنَّ غرس كراهية الرجل في ذهن الفتيات يجعلهن مع الوقت يتمردن بسهولة على كل القيم، وعلى كل شيء.

ليس من السهل أبدًا تدمير قيمة الرجل في ذهن الفتاة: تدمير قيمة الأب، تدمير قيمة المُربي، تدمير قيمة الأخ، تدمير قيمة العالم، تدمير قيمة ولي الأمر، تدمير قيمة الدعاة إلى الله ﷺ، هذا الأمر ليس ببسيّر ولا هين على الإطلاق، لا عند الله ﷻ، ولا على الفتاة، فهذا الأمر يُدمر نفسية الفتاة، وأخلاق الفتاة، ويؤدي للكفر بالله ﷻ.

فتدمير قيمة الرجل في ذهن الفتاة هو تدمير حقيقي للرجل والمرأة على حدٍ سواءٍ، ويكتوي بنار هذا التدمير كل أحد.

إذن الحقيقة الرابعة في النسوية أنها: فلسفة إقصائية، تُقصي الرجل وتُخون الرجل، وتُدمر نموذج القدوة، وتهدم نفسية الفتاة وقيمها.

### النسوية إلحاد وردة

الحقيقة الخامسة في النسوية، وهي أخطر حقيقة على الإطلاق، وأهم إشكالية في النسوية على الإطلاق، ألا وهي أن: النسوية تستلزم الردة عن دين الله ﷻ، وتستلزم الكفر بالإسلام، وتستلزم الإلحاد.

وهذه من تبعات النسوية ولا بد: فالنسوية إما أنها تتخذ مرجعيتها من الأنثى، أو تتخذ مرجعيتها من الدين والقرآن والنبى والوحي الإلهي، فليس هناك بديل آخر: فإما أن تكون مرجعية النسوية: الأنثى، وإما أن تكون مرجعيتها: الدين والإسلام! فأيهما تختار؟

● لو كانت مرجعيتها الأنثى، فهي حكمت بنفسها على نفسها أن دينها هو: النسوية؛

● ولو كان مرجعها: الوحي الإلهي فهذه ليست بنسوية، ولا علاقة لها بالنسوية.

فالنسوية لا تكون نسوية إلا بجعل المرجعية هي: الأنثى؛ فالأنثى هي مرجع النسوية في القيمة، وفي السلوك، وفي التصور: وبالتالي تصير النسوية ديناً. فكما قال الله ﷻ: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ

أَبْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١]

فالنصارى لا يعبدون أحبارهم، ولا يعبدون رهبانهم، لكنهم لما جعلوا أحبارهم مصدرًا للقيمة، ومصدرًا للتصور، وما أحلوه صار حلالاً، وما حرّموه صار حراماً، فتلك أصبحت عبادتهم إياهم: وهذا هو تفسير الآية بإجماع المفسرين.

فما تجيزه النسوية صار جائزاً عند النسويات، وما تمنعه صار ممنوعاً، فهذا هو الدين، فإما أن تتخذي الدين مرجعيتك، والنص الإلهي مرجعك، وإما أن تتخذي النسوية مرجعك.

● فمن كان النص الشرعي مرجعه فهو الوحيد المسلم، فكما قال المولى ﷺ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ

يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥] وقال الله ﷻ:

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦]

فهل النسوية تُسلم لشرع الله في كل ما أمر ونهي؟ النسوية لا تقوم أصلاً إلا على ما تراه هي لنفسها، ولذلك لا يوجد شيء يُسمى "نسوية مسلمة"، كما أنه لا يوجد شيء يُسمى "ماركسية مسلمة"، أو "الإحاد إسلامي".

فالإسلام دين، والنسوية دين آخر تماماً، فالنسوية:

● تُحل ما حرم الله ﷻ؛

● وتُحل إسقاط الولاية: ولاية الرجل في الزواج وفي غيره؛

● وتُحل الشذوذ؛

● وتُحل التبرُّج؛

● وتُحل الفواحش؛

● وتُحل كثيراً من المحرمات المعلوم من الدين بالضرورة تحريمها.

وهي كذلك تُحرّم كثيراً مما أحلّ الله كالتعدّد للرجل وغير ذلك.

فالنسوية لا تكون أصلاً نسوية إلا لو أحلت بعض ما حرم الله، وكرهت بعض ما أنزل الله ﷻ، وهذا ليس له

مُسمى في الإسلام إلا: الردّة عن دين الله ﷻ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ﴾ [محمد: ٩].

إذن فالحقيقة الخامسة في النسوية هي أنّها: لا تكون نسوية إلا بکراهية بعض ما أنزل الله، وتحليل بعض ما حرم

الله وهي بهذا إحداد، وكفرٌ أكبر، وردّة عن دين الإسلام: فالنسوية إحداد.

## مذهب مصلحي نفعي مادي

الحقيقة السادسة أن: الإنسان خُلِقَ مَكْفَأً، وَخُلِقَ لِيُخْتَبَرَ، ثُمَّ يَمُوتُ وَيُحَاسَبُ عَلَى كُلِّ مَا قَدَّمَ، هَكَذَا فَطَرَ الْإِنْسَانَ، وَبِهَذَا كُفِّفَ، وَعَلَى هَذَا أَرْسَلَ اللَّهُ ﷻ الرِّسْلَ ﷻ، وَأَنْزَلَ الْكُتُبَ، وَأَقَامَ الْبَيِّنَاتِ.

فمعيار نجاح الإنسان هو: التقوى، وليس المصلحة المادية أو المكاسب الدنيوية، ومعيار النجاح الحقيقي هو: التسليم للأحكام الشرعية، والتسليم التام لله ﷻ في كل ما أمر ونهى، وهذا هو المفترض أن يكون حال الإنسان.

لكن النسوية لم يكن هذا همها يوماً ما: فالنسوية جعلت النجاحات الدنيوية هي: غاية الوجود، ومنتهاى المراد، إذ أن منتهاى الطرح النسوي هو: تحقيق مصالح دنيوية؛ سواءً اتفقنا مع هذه المصالح أو اختلفنا معها، لكن في الأخير تبقى غاية النسوية هي: الدنيا.

لكن هذا معيار نجاح تافه، وبلا قيمة، فماذا يستفيد الإنسان إذا ربح العالم وخسر دينه؟ هذا معيار نجاح، لا وزن له عند الله ﷻ.

فمعيار النجاح للرجل والمرأة ليس عمارة الدنيا، وليس تحقيق مصالح دنيوية، وإنما معيار النجاح كما قُلْتُ هو تحقيق الاستخلاف في الأرض، واستخلاف العبودية لله ﷻ، واستخلاف التزكية الإيمانية لكل مناحي الحياة: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١]

وليست عمارة الدنيا، وليس النجاح المادي ممدوحاً في ذاته أو غايةً في ذاته، وإنما فقط يُمدح النجاح الدنيوي بقدر تزكيته بالوحي الإلهي، وبقدر تطبيق الدين فيه، وبقدر انتفاعك به أخروياً، وبقدر ما تستخدمينه في نفع الناس وصلاح أحوالهم لله ﷻ.

المشكلة أن نظرة النسوية، وغاية النسوية هي نظرة مادية مجردة خالية من أية غاية إيمانية أو تزكية أخلاقية، فالنسوية في الواقع هي: فلسفة مادية مصلحية دون وضع أي اعتبار للقيم الإيمانية.

وهذه هي الحقيقة السادسة في النسوية أنها: مذهب مصلحي نفعي مادي بلا أية تزكية إيمانية.

## تحالف مع الشيطان

الحقيقة السابعة في النسوية أنها: تحالفت مع الشيطان، وتحالفت مع كل تعاليمه.



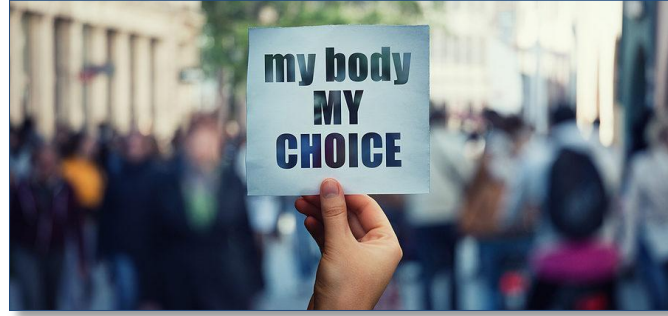
## تحالف النسوية مع الشذوذ الجنسي

فهي تحالفت مع المثلية الجنسية، وأصبحت اليوم مشغولةً بشدّةٍ بموضوع الشذوذ الجنسي، والشواذ جنسيًا، وهي لا بد أن تشغل بهذا الموضوع، فالشذوذ الجنسي في المثلية ليس قضية هامشية، بل هو لبُّ النسوية، لأن من تبعات تثوير المرأة على الرجل، ومن تبعات إقصاء الرجل من حياة المرأة، ومن تبعات التركيز فقط على المرأة، من تبعات كل ذلك أن يتمَّ: إيجاد بديل للرجل، فيصير الشذوذ الجنسي هو البديل المتاح.

بل والنسوية أيضًا تُحرّض الرجال على الشذوذ حتى يستغنوا عن الأنثى، والنسوية ترى أن الشذوذ أمرٌ حلالٌ، وليس فيه أي مشكلة، وهذا الأمر بحد ذاته ردّة عن الإسلام: فاعتقاد الفتاة النسوية أن الشذوذ الجنسي أمرٌ حلالٌ هذه ردّة عن الإسلام، وكفر بالله عَزَّوَجَلَّ.

والنسوية دائمًا مهمومة بالهوية الجنسية والجنس، فالنسوية تحالفت وأزرت الهوية الجنسية والجنس.

## تحالف النسوية مع الإجهاض



والنسوية تحالفت مع الإجهاض، ودائمًا تخرج المسيرات من النسويات في الغرب لمنع تجريم الإجهاض، وتحمل المتظاهرات لافتات: الإجهاض حقٌ، هذا جسدك أنت، هذا اختيارك أنت: فالنسوية قامت بتحويل المرأة إلى آلة قتل باردة، تقتل جنينها بدمٍ باردٍ.

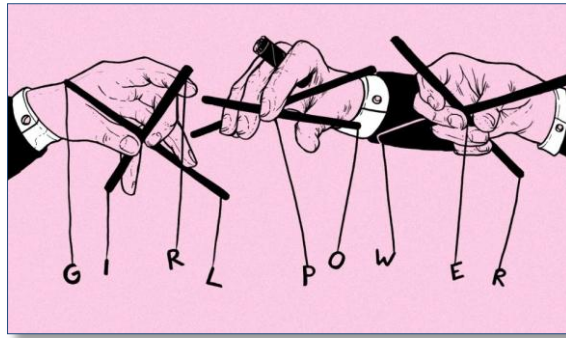
وهذا منطق إحدادي: منطق القوي يقتل الضعيف، فهنا الجنين الضعيف لا يملك القوة التي يدافع بها عن حقه في الحياة فيقتل طالما كان غير مرغوبٍ فيه.

والنسوية تحالفت مع التحرر الجنسي بكل صورته.

## النسوية تحارب الأمومة

والنسوية تُحارب الأمومة، وتطالب بتحرير المرأة من الأمومة، والنسوية تُسرِعُن قضايا الرحم الصناعي، والنيابة في الحمل.

كل هذه الأمور تعرفها كل نسوية جيداً، وهذه والله ﷻ كلها أمور ليست في مصلحتها، فحتى على المستوى الدنيوي هذه الأمور تُدمر المرأة، وتُدمر طبيعة المرأة، وتجعلها سلعة مُستغلة في يد الرأسمالية الغربية، وأسواق الإباحية العالمية.



فالنسوية تؤدي إلى اختفاء مفهوم الأنثى!

إذن الحقيقة السابعة في النسوية أنها: تحالفت مع كل صور الشذوذ والفاحشة، وبررت لها، وبررت لقتل الأجنة بدم بارد.

إما النسوية وإما الإسلام، ولا يجتمع الظلام بالنور

النسوية



والخلاصة أن النسوية تُبرر لـ:

١. القتل: قتل الأجنة؛
٢. الفاحشة: كل صور الزنا والشذوذ؛
٣. الكفر: تحليل ما حرم الله ﷻ.

وهذا مثلث الشيطان الذي هو مُنتهى طموح الشيطان من الإنسان، ماذا يريد الشيطان أكثر من هذا من ابن آدم؟ فالنسوية هي دينُ الشيطان، تم التبرير له بأنه مذهب يريد نصرته المرأة المضطهدة، والشيطان يقف بعيداً يضحك.

فلا يجتمع إسلام ونسوية في قلب امرأة مسلمة: في القضايا العقديّة الأمرُ دينٌ، ولا يحتمل التنازلات: إما إيمان أو كفر، إما جنّة أو نار: إما تسليم لشرع الله ﷻ ورضاً بوحْيِهِ، أو كفر وردّة وتمرد على دين الله ﷻ.

- الإسلام يعني: التمركز حول التسليم لشرع الله؛
- النسوية تعني: التمركز حول الأنثى.

فاختاري بين الديانتين، اختاري بين العقيدتين، فأما النسوية فهي:

- دين الشيطان بمثلث الردّة، وإباحة القتل، والفواحش؛
- حوّلت البيوت الهادئة إلى حلبة صراع بين الرجل والمرأة؛
- فلسفة خبيثة: فالنسوية يُراد لها أن تنتشر بين بناتنا بصور مختلفة خبيثة كصورة: النسوية المتأسلمة، وتعتمد النسوية في هذه الحالة على تضخيم حالات اضطهاد وإيذاء وظلم تحصل لبعض النساء، وهي حالات يُحاربها الرجل قبل المرأة، فتستغلّ النسوية هذه الحالات لتنتشر أفكارها الكفرية بين البنات.

لا بد أن نعي خطورة هذه الحركة، وإجرام هذه الحركة، وتبعات هذه الحركة.

## الإسلام

- الإسلام قيّد العلاقات الجنسية، وهذا ضد هوى الرجل؛
- الإسلام حمّل الرجل مسؤولية النفقة؛
- الإسلام أوجب أن يكون شرط الزواج هو: الإستقرار، وهذا ضد هوى الرجل؛
- الإسلام حمّل الرجل المسؤولية تجاه المرأة طيلة عمره بعقد الزواج، وهذا ضد هوى الرجل؛

- الإسلام جعل الجنة تحت أقدام المرأة: أتى رجل ليجاهد مع النبي ﷺ فقال له النبي ﷺ: (وَيْحَكَ أَحْيَاءُ أُمَّكَ؟) قال الرجل: قُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: (وَيْحَكَ الزَّمَّ رَجُلَهَا فَنَمَّ الْجَنَّةُ)"<sup>٩٦</sup>
  - في الإسلام: ثلاثة أرباع الإهتمام يكون بالمرأة، والرابع للرجل: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ، فقال: "يا رسول الله، مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: (أُمَّكَ)، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: (تُمَّ أُمَّكَ)، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: (تُمَّ أُمَّكَ)، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: (تُمَّ أَبُوك)"<sup>٩٧</sup>
  - علاقة الرجل بالمرأة في الإسلام ليست علاقة نزوة عابرة، تترك المرأة بعدها محطمة، وإنما هي علاقة عهد من الرجل للمرأة طيلة عمره، وميثاق غليظ سيُسأل عنه لو قصر فيه، قال الله ﷻ: ﴿وَأَخَذْنَا مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [النساء: ٢١]، فالنساء أخذن من الرجال عهداً شديداً بالقيام بحقوقهن والرعاية والحماية والإحاطة من كل سوء، وقال الله ﷻ: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩]
  - بل إن درجة الشهادة ينالها الرجل لو دافع عن المرأة، قال النبي ﷺ: (وَمَنْ قَاتَلَ دُونَ أَهْلِهِ، فَهُوَ شَهِيدٌ)"<sup>٩٨</sup>
- و (مِنَ أَكْمَلِ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا وَالطُّفْهَمَ بِأَهْلِهِ)"<sup>٩٩</sup>، وقال ﷺ: (خِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ)"<sup>١٠٠</sup>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

<sup>٩٦</sup> صحيح سنن ابن ماجه (ج: ٢٢٥٩).  
<sup>٩٧</sup> صحيح البخاري (ج: ٥٩٧١)، صحيح مسلم (ج: ٢٥٤٨): [متفق عليه]  
<sup>٩٨</sup> صحيح سنن النسائي (ج: ٤١٠٥).  
<sup>٩٩</sup> سبق تخريجه.  
<sup>١٠٠</sup> مسند أحمد، (م/٢ص/٤٧٢): [درجة الحديث: صحيح].